الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم الفلسفة

المستوى : السنة الثانية ماستر

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص فلسفة الإتصال و نظريات الترجمة

تحت عنوان :

# السؤال البراغماتي عند وليام جيمس

**من إعداد الطالب : تحت إشراف الأستاذ :**

* بصديق رفيق بن جدية

*مرباح احمد

السنة الجامعية : 2015/2014

# إهداء

***بسم الله الرحمن الرحيم***

" قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولايطيب النهار إلى بطاعتك .. ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين..

***سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم***

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل إسمه بكل افتخار .. أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد..

***والدي العزيز***

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب..

***أمي الحبيبة***

إلى رفقاء دربي وهذه الحياة بدونكملاشيء، معكم أكون أنا وبدونكملا أكون

في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة يا من تطلعتم لنجاحي بنظرات الأمل

**إخوتي وأخواتي**

إلى الإخوة اللذين لم تلدهم أمي .. إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت ، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم

**أصدقائي**

## شكر وعرفان:

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع ،إن ربي كريم حكيم و بعد:

أتقدم بالشكر إلى أساتذة معهد الفلسفة الأجلاء لما منوا علي من فضل.

بداية بالأستاذ الدكتور الفاضل "بن جدية " لتفضله بالإشراف على هذا البحث و توجيهاته المنهجية و اقتراحاته الذكية لي و نصائحه اللطيفة المتواضعة.

و شكرا خالصا لكل أساتذة المعهد و الزملاء الأفاضل لكل أولئك جميعا أسمى آيات احترامي و تقديري.

- بصديق رفيق -

**مقدمة:**

الفلسفة البراغماتية واحدة من التيارات الفكرية التي شهدها القرن العشرين، هذاالتيار و ما تتضمنه من عناصر تفكير علمي قامت كرد فعل على التيار الميتافيزيقي في أوروبا المتطرفة في الإغلاق في عالم التجريد و التأمل، ممثلا في الأنظمة الفلسفية المغلقة في أطروحاتها،العقيمة في مناهجها، السلبية في موقفها من العالم و الحياة والإرادة والإنسان،وبما أن هذه الطروحات التي صاغتها مختلف المذاهب الفلسفية المادية منها والمثالية والتحليلية، حول الوجود و الإنسان أصبحت عاجزة عن استيعاب التطور الذي اجتاح إنسان القرن العشرين بشكل مرن و مستمر و متسارع و أكثر من ذلك إذ قامت دعوة البراغماتية من أجل التأسيس العملي لحلول و بدائل واقعية ملموسة لأزمات الإنسان في هذا العصر،ليس عن الإنسان ذاته كما فعلت المذاهب الأخرى، و إنما منطلقة من الإنسان والحياة والواقع العملي المعيش،والتجربة المباشرة، داعية مع وليام جيمس لميلاد فكر فلسفي جديد متواضع في بلوغ الحقيقة بالمعايير التي تحددها.

فالبراغماتية عند جيمس صار محور الاهتمام فيها الإنسان لا المذهب، و جهودها منصبة على المنهج لا النظرية، و أغراضها صناعة الحياة لا التراكم المعرفي للأفكار، و الحقيقة فيما يقودنا للنجاح في الحياة العملية و يجلب لنا الرخاء و الطمأنينة و الربح و السعادة...

هذا الخطاب ساهم في نفاذ عناصر كثيرة من الفكر و الفلسفة البراغماتية إلى بنية العقل الأمريكي و روح ثقافته ألاجتماعية فإيمانه الجازم بالطاقة الكامنة في الإنسان أدى للتحدي و عجل بانتشار موجة تقدم واسعة و شاملة مركزها ألإنسان و هذا ما يبرز قوة الفكرة البراغماتية المستمدة من خصوصية الفلسفة البرجماتية و بساطتها وسلاستها عند جيمس

وخاصة في مفاهيمها، و مصطلحاتها التي من السهل على عامة الناس الإحاطة بها في يسر،و بهذا تحدت القول بأن الفلسفة غامضة و أنها لغة الخواص و فكرا طلسميا ملغزا،وأصبحت ثقافة تنبذ المتعالي عن جمهور الناس، مما مهد لانتشارها و رواجها في أوساط الشعب الأمريكي وخلقها جوا ثقافيا عاما باعتبارها معرفة لا تنسب للعلم فحسب، و إنما تمت بصلة عضوية أو تجانس روحي إلى روح الإنسانية و فكرها منطلقة من التركيز على دائرة الفردانية لتعلي من شأن إرادة الفرد وحريته، و بهذا تحافظ على روئيا أو فلسفة إنسانية في أبعادها و مضامينها، فيغد الواقع المشخص و العملي مساحة اختبار حاسمة لصدق فكرة البرجماتية والارتباط بها، و يأتي هذا التوحد حيلة العقل الباطن في الاحتفاظ بالذات قوية لا انفصام فيها.

لقد رافق ظهور البراغماتية على المسرح ضجة كبيرة في مختلف أنحاء العالم ،حيث باشر أصحابها "بانقلاب غوبر نيق "في الفلسفة بإعادة بنائها بصورة جذرية ،كما أنهم طمأنوا القراء لأنهم عثروا أخيرا على المفتاح المناسب لكل المعضلات الفلسفية الأساسية،ذلك بفهم يعتمد على ارتباط القضايا الفلسفية بحياة الإنسان العملية أساسا لتقويمها .

لكي نغوص في بحر البراغماتية صادفنا إشكال محوري عام :ما هو تصور وليام جيمس البراغماتي للحقيقة ؟ وتحت هذا الإشكال تندرج الفرضيات التالية :

- ما مفهوم البراغماتية وكيفية نشأتها ؟

-ما العوامل التي ساعدت على بروزها في الوسط الأمريكي ؟

-ما مفهوم الحقيقة في المذهب البراغماتي ؟

-ماأهم أقطاب البراغماتية؟

وما أصولها العلمية والفلسفية ؟

كإحاطة شاملة فإن اسم البراغماتية يطلق على مجموعة من الفلسفات المختلفة ذات المبدأ الواحد أو العام و مبدؤها هو أن صحة الفكرة تعتمد على ماتؤديه من نفع (باختصار هي امتداد للنفعية) وأول من أطلق عليها اسم البراغماتية هو العالم الأمريكي الشهير "ساند رز بيرس "ثم طورها كذلك الأمريكي وليام جيمس وهذا لا يعني أبدا أنها انحصرت في أمريكا بل انتقلت إلى انجلترا على يد شيلر الذي أطلق عليها بدوره اسم المذهب الإنساني وهي حسبه تقف ضد الفلسفات التأملية أو العقلية وتبدوا أيضا كأنها نظرية تتعلق بتحديد معاني الألفاظ والعبارات

تحقيقا لهذه الدراسة فإن المنهجية كانت متناسقة مع طبيعة الموضوع الذي يدخل ضمن اختصاص الفلسفة،و الذي اتبعنا فيه منهج التحليل و النقد وكذا المنهج التاريخي.

وقد تناولنا هذه الدراسة في ثلاثة فصول:

**الفصل الأول :** عالجنا فيه ماهية المذهب البراغماتي و أهم أقطابه و الذي حوي ثلاثة مباحث على النحو التالي :

**الجذور الأولى لنشأة المذهب البراغماتي**حيث تم التطرق للأصول بنوعيها سواء الفلسفية أو العلمية فالفلسفية من العصر اليوناني إلى العصر الحديث مع كانط وكونت وغيرهم ، و **المبحث الثاني** كان بعنوان البراغماتية مفهومها و نشأتها الفعلية و الذي تطرقنا فيه للحديث عن المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للبرغماتية ثم ذكرنا خصائص المذهب البراغماتي و الميزات التي تميزه عن المذاهب

الأخرى، ثم النشأة الفعلية لهذا المذهب و التي كانت على يد كل من شارل ساندرس بيرس و وليام جيمس و جون ديوي، أما **المبحث الثالث** فكان بعنوان أهم أقطاب البراغماتية و التي رأينا فيها أن حلقة الوصل بينهم هي أن صحة الفكرة تكمن في النتيجة.

أما **الفصل الثاني** فهو بعنوان تصور براغماتية جيمس للحقيقة و يحوي أيضا على ثلاثة **مباحث الأول** بعنوان وليام جيمس فيلسوف براغماتي وفي هذا المبحث نرى كيف كان التحول عند جيمس من علم النفس باعتباره رائدا فيه، إلى الفلسفة مع أنه يؤمن بالتجربة أكثر من أي شيء آخر، و **المبحث الثاني** الذي تناولنا فيه مفهوم الحقيقة في الفلسفة البراغماتية ككل، و **المطلب الثاني** الحقيقة عند وليام جيمس ومفهوما ورأينا على أي أسس و قواعد يبني وليام جيمس الحقيقة،و**المبحث الثالث** الذي تطرقنا فيه إلى ذكر التجربة الدينية عند جيمس و التي كان فيها المجال الواسع من أجل تطبيق مذهبه، و أخيرا **الفصل الثالث** الذي كان بعنوان البراغماتية عرض و نقد، في الحقيقة هذا الفصل يستحق أن يكون في كتاب أو أكثر لكن حاولنا قدر المستطاع و بإيجاز أن نعرض مسيرة البراغماتية في محاولة منا توضيح الإسقاطات البراغماتية على الواقع المعيش، وفي نفس الوقت تم ذكر أهم الانتقادات التي طالت المذهب البراغماتي كما كانت أيضا مناقشة المذهب من المنظور الديني و الفلسفي.

لقد تم اختيار هذا الموضوع انطلاقا من رغبتين الأولى موضوعية وتتمثل في إصرار بعض الزملاء وإرشادهم لي لتناول هذا الموضوعا والرغبة الثانية هي رغبة ذاتية وتتمثل في ميولنا الشخصي إلى الاهتمام بدراستنا لهذا الموضوع الذي يعد الأكثر

جاذبيـــة بـــلا منـــازع، والـــذي بواســـطته يمكـــن تشـــخيص فكـــر المجتمـــع الأمريكي الطموح إلى مستقبل عقيم الماضي.

أمـــا فـــي مـــا يخـــص العراقيـــل والتـــي كـــان لهـــا تـــأثير علـــى إنجـــاز هـــذا البحـــث هـــي أنـــه أغلـــب المراجـــع والمصـــادر كانـــت باللغـــة الأجنبيـــة وخاصـــة الإنجليزية مما يستغرق وقتا طويلا في ترجمتها إلى لغة الضاد.

**الفهرس:**

العنوان الصفحة

مقدمة.....أ.

الفصل الأول: ماهية المذهب البراغماتي و أهم أقطابه.

المبحث الأول: الجذور الأولى للمذهب البراغماتي..... .

أ)الأصول الفسفية:.....

ب-) الأصول العلمية:.....

المبحث الثاني: البراغماتية مفهومها و نشأتها الفعلية.....

المفهوم اللغوي.....

المفهوم الإصطلاحي.....

خصائص البراغماتية.....

النشأة الفعلية للمذهب البراغماتي.....

المبحث الثالث:أهم أقطاب البرجماتية.....

شارل سندرس بيرس.....

وليام جيمس.....

جون ديوي.....

الفصل الثاني:التصور البراغماتي للحقيقة عند وليام جيمس.

المبحث الأول:وليام جيمس فيلسوف براغماتي.....

المبحث الثاني: الحقيقة ومفهومها عند وليام جيمس.....

المفهوم البراغماتي للحقيقة.....

تصور الحقيقة عند وليام جيمس.....

المبحث الثالث: التجربة الدينية عند وليام جيمس كفلسفة برجماتية:.....

الفصل الثالث: البراغماتية عرض ونقد.

المبحث الأول: مراحل تطور البراغماتية: من التأسيس إلى الطرح الجديد.....

المرحلة الأولى.....

المرحلة الثانية.....

المرحلة الثالثة.....

المبحث الثاني: بعض الانتقادات التي وجهت للمذهب البراغماتي:.....

المبحث الثالث: مناقشة المذهب البراغماتي.....

أولا: مناقشة البراغماتية من المنظور الفلسفي. .....

ثانيا: مناقشة البراغماتية من المنظور الديني.....

الخاتمة.....

قائمة المصادر و المراجع.....

الفهرس.....

# مقدمة

# الفصل الأول

# الفصل الثاني

# الفصل الثالث

# خاتمة

# قائمة المصادر

# و المراجع

# الفهرست

## **المبحث الأول**: الجذور الأولى للمذهب البراغماتي:

ظهرت الفلسفة البراغماتية على يد الفيلسوف الأمريكي "تشارلسسندرس بيرس" وعرفت بشكل واسع على يد الفيلسوفين وليم جيمس وجون ديوي. وربطت هذه الفلسفة بين الفكر والعمل، ونادت بالقول أن (قيمة أي فكرة تكمن في فائدتها العملية)والجديد في هذا المبدأ هو وضع الفائدة العملية في المقام الأول، أي التركيز على التجربة العملية، ويبدو هذا المبدأ الذي وضعه بيرس كمبدأ رئيس من مبادئ وضوح الفكر، ومعناه نتيجة منطقية لانعدام الحس التاريخي لدى الشعب الأمريكي، الذي يحاول أن يكون صانع مستقبل كحالة تعويضية عن فقدانه الجذر التاريخي، فأمريكا تحاول أن تؤصل حاضرها تجاه الماضي الأصيل للشعوب الأخرى، ولا سبيل أمامها لتحقيق هذا الهدف سوى بناء قاعدة معرفية تنطلق منها،وقد وجد المجتمع الأمريكي ضالته في برجماتية"بيرس"، تلك القاعدة التي استقرأت حقيقة تفكير الإنسان الأمريكي،الذي لا يسأل عن النشأة (الماضي) بقدر ما يسأل عن النتيجة (المستقبل)، وقد أصبحت هذه القاعدة هي الميزة الأساسية التي تميز الفكر الأمريكي من الفكر الأوربي[1].

المشكلة هنا هي أن قاعدة (الآثار والنتائج العملية) هذه لم تعرف لدى الدارسين العرب بصيغتها عند واضعها (تشارلس بيرس)، بل عرفت بالصياغة التي وضعها لها وليم جيمس وجون دوي. ذلك أن جهود الباحثين العرب في محاولتهم لنقل الفكر البراغماتية انصبت على ما كتبه هذان الفيلسوفان، فكان نصيب وليم جيمس وجون دوي من الدراسة والبحثوالترجمة لكونهما مشهورين إعلاميا أو لكونهما تركا كتبا لا تتطلب سوى الترجمة المباشرة أو الاعتماد المباشر عليها- اكبر من نصيب زميلهما (تشارلس بيرس) لذا ترجمت أعمالهما،واعتمدت بشكل يكاد يكون كاملا في توضيح معنى البراغماتية، وقد أصبح القارئ العربي يعرف البراغماتية من خلال ماكتبه هذان الفيلسوفان أو ما كتب عنهما من مؤلفات،أما"بيرس"«الذي لم يترك لنا سوى أوراق غير منشورة ومقالات نشر مجموعة منها

[1]أنظر:دوي، جون: نمو البراجماتية، مقال من كتاب فلسفة القرن العشرين، تأليف رونزواجبورت، ترجمة: عثمان نوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص243-

في الصحف -فقد ظل مختفيا خلف كلمة (مؤسس) البراغماتية»[1]، لكن فكر هذا الفيلسوف وجهده الأساسي في بناء المنهج البراغماتية، ظل مجهولا لدى القارئ العربي، أما فيما يخص الجذور أو الأصول كما يسميها البعض التي تعود إليها و التي اعتبرها البعض أنها مجرد انعكاس لطبيعة المجتمع الأمريكي كما ذكرت، و اعتبر البعض الأخر أن جذورها ضاربة في نتائج العلم الحديث ونظرياته العلمية التي كان لها الدور البارز في إحداث الثورة العلمية و حتى قلب موازين القوى. و على هذا الأساس يمكن أن نقسم الأصول إلى نوعين من الأصول أصول فلسفية و التي تكمن في أهم النظريات و المبادئ التي تتقاطع فيها الفلسفة البرغماتية المعاصرة مع الفلسفات الأخرى بما فيها الفلسفة اليونانية باعتبارها مهد الفلسفة المنظمة، وكذا أصول علمية و المتمثلة في إبراز أهم النظريات التي أثرت بشكل واضح في ظهور البرغماتية كمذهب له مبادئه و قواعده الخاصة كتأثير نظرية التطور على سبيل المثال إلى غير ذلك من النظريات العلمية التي سنفصل فيها لاحقا:

**-أ)الأصول الفلسفية:**

**-1) السفسطائيون:** و قد أقروا بأن الخبرة الحسية تختلف من فرد إلى فرد أخر، لذلك كان لابد لهم من أن يصلوا إلى القول بأن الواقع هو ما يبدو عليه الفرد وهذا ما عبر عنه بروتاجوراس(Protagoras 481 411 ق .م)في قاعدته المشهورة" الإنسان مقياس الأشياء جميعا" و بذلك وصلوا إلى مذهب ذاتي ونسبي في الاعتقادات و الأخلاق، و المعرفة و هناك أيضا أفكار كثيرة مشابهة تتردد عند البراغماتيين[2].

[1] دوي، جون: نمو البراغماتية، المرجع نفسه ص245.
[2] محمد مهران،محمدمدين،مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للنشر و التوزيع،عبده غريب،ط1،2004،ص46.(بتصرف)

**2-)عند اليونانيين : "أبيقور"**

يعد أبيقور[1] من الفلاسفة الأوائل الذين قالوا بمذهب اللذة -Hédonisme–وهو من الكلمة الإغريقية -Hedne - بمعنى اللذة و المتعة، وتتميز فيه نظرتان هما:مذهب اللذة الأخلاقي –EthicalHodonism- و مذهب اللذة النفسي -PsychologicolHodonism–و يستند القائلون بالمذهب الأول على دعاوي الثاني، و الأول هو وجهة نظر عدد كبير من الفلاسفة ،من" أرس تيوس القورينائي "و "أبيقور"في الفلسفة الإغريقية إلى "لوك "و "هوبز" و"بينتام "في الفلسفة الحديثة ،ويقول« إن اللذة هي الشيء الوحيد المرغوب فيه لذاته،و أن الألم هو الشيء الوحيد غير المرغوب فيه لذاته»[2].و من الفلاسفة من يحل السعادة محل اللذة بحيث يعتبر أن اللذة هي ذاتها السعادة بمعنى متى وجدت اللذة وجدت السعادة وتحقق الرغبة النفسية بوجود اللذة،و يختلف الفلاسفة في معنى كل منهما،فمعنى الشيء المرغوب لذاته أنه الشيء المطلوب و الخير الذي يستحق أن نختاره لذاته بصرف النظر عما يترتب عليه من نتائج، و يميز القائلون بمذهب اللذة« بين الشيء المرغوب فيه كوسيلة لغاية اللذة،والشيء المرغوب فيه كغاية أو كلذة في حد ذاته ،و الشيء الذي تجتمع فيه الوسيلة والغاية معا»[3].و قد يختلط الأمر على البعض فيظن اللذة فقط الاستمتاع الحسي بمتاع الحياة كالطعام والشراب و الجنس،و لكن اللذة بالمعنى الذي يقصد إليه القائلون بها هي حالة من الاستمتاع الشعوري،سواء كان استمتاعا سلبيا بمتع الطعام و الشراب والجنس،أواستمتاعا إيجابيا بمتعة الخلق مثلا.و يختلف الفلاسفة و علماء النفس حول تفسير معنى اللذة أو المتعة -Enjoyment- و لكن الإجماع يكاد ينعقد على أن الاستمتاع بالشيء،لا يكون إلا لذاته بصرف النظر عن النتائج التي تترتب عليه.و تتعدد صياغات مذهب اللذة النفسي الذي يستند إليه كثيرمن أصحاب مذهب اللذة الأخلاقي،و لكنها جميعا تجمع أن اللذة وتحاشي

[1]ولدأبيقور في شامس ،341_342،تربى تربية ذاتية ،وهو يفخر بها كثيرا،ولوأننالا نستطيع أن نصدق هذا القول على علاته و لكنه استطاع على كل حال أيثقف نفسه ،ويعرف الكثير من المذاهب السابقة بالقدر الذي يقضي به منطق فلسفته ،و الغاية من الفلسفة عنده .ثم انتقل إلى أثينا ،و هناك أقام مدرسته المشهورة باسم حديقة أبيقور و ظل بها حوالي ست و ثلاثين سنة و توفي سنة 270 ق.م .

[2]عبد المنعم الحفني ،الموسوعة الفلسفية ،دار المعارف للطباعة و النشر سوسة تونس د (ط.س) ص 434.

[3] المرجع نفسه ص 435.

الألم هما الدافع إلى السلوك،سواء كانت لذة حاضرة أو ماضية أو متوقعة،ولا يكتسب مذهب اللذة النفسي أهميته من مجرد ارتباطه بمذهب اللذة الأخلاقي،و لكنه يكتسب أهميته كذلك من ثبوت صحة بعض تفسيراته التي يقدمها لدوافع السلوك الإنساني،يقول أبيقور «إن مقياس الخير هو اللذة و مفارقة الألم،و هذا شيء لا حاجة لنا به إلى البرهنة عليه،فإننا سنجد قطعا أن الإنسان يرمي دائما إلى تحصيل اللذة و تجنب الألم فالأصل إذا في أخلاق خيرة أن تتجه نحو تحصيل اللذة و الابتعاد عن الألم»[1].إلا أن "أبيقور" فرق بين أنواع عدة من اللذة و الألم،فهو لا ينظر إلى اللذة بحسبانها اللذة الحسية الصرفة،التي يجدها الإنسان في الإحساس المباشر بما هو ملائم في اللحظة و الزمن المعنيين، بل يفاضل بين اللذات بعضها ببعض، و بين الآلام بعضها ببعض،فيجعل من بعض الآلام أفضل من بعض اللذات لأن في احتمال هذه الآلام ما يؤدي إلى تجنب ألام الخير،لأن كل لذة وكل ألم لا بد لهما من أثر مترتب،و الأثر المترتب قد يفضي إلى شيء من نفس النوع.أو إلى شيء مضاد،وبدرجة قد تكون أقل وقد تكون أكثر في كلتا الحالتين. نعني من هذا كله أن كل ألم يتجنب لأنه ألم في ذاته،كما أن كل لذة يجب ألا تطلب لأنها لذة في ذاتها،إنما يجب أن نحسب حسبانا إلى جانب الآلام واللذات في ذاتها، للذات الآلام مترتبة عليها، فإذا كنا نجد لذة تنتج ألما تأثرنا به أشد بكثير من تنعمنا وتألمنا باللذة الأولى ، وبالتالي كان علينا أن نتجنب هذه اللذة.حرصا على تجنب ألم أكبر و إذا كان بعض الآلام من شأنه أن يفضي إلى لذة درجتها أكبر من درجة الألم المنتج لها،كان علينا أن نعاني من هذا الألم حرصا على تحصيل هذه اللذة الكبرى.[2]

### 3-) أفلاطون و أرسطو:

بالرغم من أن التقاليد السقراطية– الأفلاطونية – و الأرسطية– كانت سدا منيعا في وجه جميع صور الذاتية النسبية، بالتالي في وجه الملامح الأساسية للبرغماتية. إلا أن كلا من

[1] _ عبد الرحمان بدوي ،الموسوعة الفلسفية ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ط1،1984، ص 435
[2] أنظر: الموسوعة الفلسفية، مرجع نفسه، 437.

أفلاطون وأرسطو قد ساهما مساهمة كبيرة في خلق البراغماتية. و على سبيل المثال فإن أرسطو بتركيزه على التجربة بوصفها مكونا ضروريا من مكونات المعرفة، و على الجزئي المتعين على أنه هو الواقع قد وجه انتباه كثير من المفكرين ألاحقين مرة أخرى إلى الحس المشترك وبصورة بعيدة عن النزعة المتعالية المتطرفة التي ارتبطت بأفلاطون. وأيضا فإن جعل أفلاطون "التكهن بالمستقبل مقدما في مجال المعرفة كان موقع تركيز كبير من جانب البراغماتيين المعاصرين[1].

2_ **في العصر الحديث "بنتام "** (مذهب اللذة ).

يصرح "بنتام"[2] بأن مبدأ المنفعة هذا خطر بباله و هو يقرأ كتاب بحث في الحكم ظهر في سنة 1768 ،تأليف "جوزيف بريستلي "-J.Priestiy -(1733_1804)الذي رأى أن المعيار الذي ينبغي وفقا له أن يحكم على أمور الدولة هو سعادة غالبية أفراد الدولة.

يقوم مذهب المنفعة عند "بنتام" على أساس نفسي وثيق هو أن الإنسان بطبعه يسعى إلى تحصيل اللذة و تجنب الألم .يقول "بنتام" : «إن الطبيعة وضعت بني الإنسان تحت سيطرة حاكمين ذوي سيادة هما : اللذة و الألم و هما يحكماننا في كل ما نفعل ،و في كل ما نقول وفي كل ما نفكر فيه : وكل محاولة يمكن أن نبذلها من أجل التخلص من استبعادنا لهما لن تفلح إلا في إثبات هذه الحقيقة ،وتوكيدها ،وربما زعم الإنسان ،بالقول رفض سلطانها أما بالفعل وفي الواقع فإنه سيبقى خاضعا لهما دائما»[3]، على هذا المبدأ نفسه أقام أبيقور مذهبه في العصر اليوناني ،وإليه دعا "هلفيسوس"فيفرنسا،و"هارتلي"و"توكر" في انجلترا في القرن 18م،لكن "بنتام" أوفى على هؤلاء في التوسع في معنى اللذة والألم ،وفي ربطهما بالسعادة .ذلك أن "بنتام" يقصد كل لذة وكل ألم ،ولا يفرق بين اللذات ،و لا بين الآلام بعضها ببعض ،كما فعل أبيقور .وفي هذا يقول :«وفي هذا الأمر (اللذة) لا نريد أي

[1] مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق،ص47.(بتصرف)

[2] يعد جرامي بنتام 1784_1838فيلسوف أخلاق و مشروع انجليزي ،ومن دعاة مذهب المنفعة في الأخلاق والقانون .وقد بحث بنتام عن الضابط للمنفعة المرجوة فوجده : تحقيق اكبر سعادة لأكبر قدر من الناس .

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، دط.س، ص328.

تنـوق؛-Refinement- ولا أي ميتافيزقيـا ،ولـيس مـن الضـروري أن نستشـير (فـي هـذا الأمر)أفلاطون و لا أرسطو ،فالألم واللذة هما ما يشعر به أي إنسان أنهما كذلك»[1].

إن معيار الأفعال الشريرة هو أن تؤدي إلـى الإقلال من اللذات.و هذا يفضـي بنـا إلـى مبدأ المنفعة و يسمى أيضا مبدأ اكبر سعادة .يعرف "بنتـام "المنفعـة بأنهـا: «خاصـية الشـيء التي تجعله ينتج فائدةأو لذة ،أو خيرا أو سعادة وكلها هاهنا بمعنى واحد ،أو-و المعنى واحد- خاصية الشيء التي تجعله يحمي السعادة من الشقاء أو الألم أو البؤس ،بالنسبة إلى الشخص الذي تعلق به المنفعة .و بالجملة ، فان المنفعـة و هـي كل لـذة و كل سبب فـي إيجـاد لـذة أن السعادة هي جماع اللذات»[2] ،ولهذا فان مبدأ السعادة هو أن يسعى الإنسان إلى تحصيل اكبر قدر من اللذات و مبدأ المنفعـة لا يمكن البرهنـة عليـه إذا قصـدنا مـن البرهنـة والاستنباطمن مبدأ أعلى ،ذلك لأنه لا يوجد مبدأ أعلى من مبدأ المنفعة .يذكر "بنتـام "أن أي هدف أخلاقـي آخر ينطوي في الحقيقة على مبدأ المنفعة ،مهما بدا فـي الظـاهر أنـه ليس كذلك. و فـي ذهن "بنتـام" و هـو يقـرر هـذا :"اوهتسـون" غلـو سـال" هـؤلاء أنفسـهم عـن الهـدف الحقيقـي مـن نظرياتهم العاطفيـة، هذا ليتبين لهم أن المنفعـة ليست إلا مبدأ .وبالجملـة فالمنفعـة فـي رأي "بنتام" ،"هي الهدف الأخير و المعيار الوحيد لكل أخلاق"[3]و مـع ذلـك فالأخـذ بالمبـدأ النفعـي يترتب عليه الأخذ بمبدأ أخلاقي و هو استحسان الأفعـال التـي تتجـه إلـى زيـادة أو إنقـاص مـا يعود على أصحابها من سعادة أو نفع أو لذة أو خير .

كما الحكم الخلقي على الفعل يكون بقياس الآلام و اللذات التي تلحق كل من يتـأثر بهذا العمـل، و الموازنـة بينهمـا وتقـاس اللـذة بشـدتها و مـدتها و درجـة ثباتهـا و سـهولة منالهـا وقـدرتها علـى إنتـاج لـذات أخـرى و خلوهـا مـن النتـائج المؤلمـة، و يـدعو بنتـام إلـى طـرح القواعد العامة في الاختيار بين مـا ينبغـي علـى الإنسـان أن يفعلـه، و إلـى تحقيق الفعل الـذي

[1] عبد الرحمن بدوي ،الموسوعة الفلسفية ،مرجع سابق ،ص363.
[2] عبد الرحمن بدوي ،الموسوعة الفلسفية ،مرجع سابق ،ص 365.
[3] الموسوعة الفلسفية ،مرجع نفسه ،ص 366.

الذي يعود على صاحبها بأقصى سعادة،[1]و لكي يحكم العقل يجب تقديرا للذات بجميع ظروفها الموازنة بينها. وتقاس اللذات أولا من جهة صفاتها الذاتية ، و هي :الشدة و المدة و الثبات وقرب المنال و(الخصب أي القدرة على إنتاج لذات أخرى ) و النقاء(أي خلوها من أسباب الألم ). وتقاس ثانيا من جهة عواقبها الاجتماعية، وهي :الخوف الذي يستولي على المواطنين من جراء الجريمة، و القدوة السيئة التي تنشرها بينهم، و الاضطراب الاجتماعي الذي تسببه، و القصاص الذي ينزل بالمجرم، فإن القصاص عنصر يدخل في حساب الآلام ويعارض لذة الفعل فيميل بالمرء إلى إتباع القوانين التي يراها المشرع نافعة لأكبر عدد، و لذا كانت الغاية التي يتعين علينا السعي لتحقيقها "هي أكبر سعادة لأكبر عدد"، هذا هو العلم الجديد الذي يأتي به "بنتام" و يسميه بالحساب الخلقي لإيجاده الاختيار بين اللذات، و يعتقد أنه يحول به علم الأخلاق و علم التشريع إلى علمين مضبوطين كالرياضيات، و يعول في التوحيد بين النفع الذاتي و النفع العام على الجزاء الطبيعي للفعل و الجزاء القانون.

**-4) بيكون وكوبرنيقوجاليلو:**

إن من مظاهر البراغماتية عند فرنسيس بيكون إدراكه للدور الذي تلعبه الملاحظة في مجال المعرفة ورفضه لجميع صور المذهب العقلي كما أكد على أن "المعرفة قوة" إلا أنه يختلف عن البراغماتيةين في أنه لم يجعل للإرادة و الشعور أي دور في تقدير المعرفة. وكوبرنيق الذي رأى كذلك بدوره أن صحة الفرض تقوم على ملائمته للواقع أي ركز على اشتراط واقعية الفرض، أما جاليليو فقد كان يرى أنه ليست هناك وسيلة للتعامل مع الواقع المتحول. لأن المنهج العلمي يتعلق بنظم رياضية للعالم الملاحظ لا طبيعة الواقع...أما بسكال رأى أن المعرفة العلمية عقلية والمعرفة الدينية غير عقلية أي أنه رفض الفكرة القائلة بأن الدين

[1]انظر: عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية،مرجع سابق،ص111.

مجرد تأمل. و يرى كذلك أنه هناك نمط أخر من المعرفة يقع خارج نطاق العلم. و هذا ما أدى بظهور حركة مضادة لأصحاب المناهج العلمية[1].

**-4) كانطوأوجيست كونت و جون ستيوارت ميل:**

بالرغم من اختلاف كانط مع الموقف الأساسي للبرجماتية إلا أننا يمكن اعتباره من أبرز روادها وذلك راجع إلى[2]:

-أ) ميز بين العقل الخالص و العقل العملي، وأقر بأن السلوك الأخلاقي يقوم على العقل العملي إلا من خلال بعض الأفكار اتي لا بد من التسليم بها مثل الحرية و الإرادة وقد توسع البرغماتيين في هذا المجال.

-ب) يقر المذهب البراغماتية بما ذهب إليه "كانط" من أهمية الذهن بوصفه العامل الفعال في تفسير التجربة، و لم يقر بالمقولات الذهنية التي تلعب الدور الأساسي في النظرية الكانطية للمعرفة.

-ج) يقر البراغماتية بالنقد الكانطي للميتافيزيقا التأملية و يصر تماما بأن الأفكار لا يمكن أن تشير إلى موضوعات تقع خارج نطاق الخبرة الحسية.

أما أوجيست كونت فقد كان هو الأخر رائدا للبرجماتية للأسباب التالية:

أ-) أقر بالرفض الكانطي للميتافيزيقا التأملية بينما رأى فيها مرحلة لا مفر منها في المعرفة الإنسانية.

ب-) رأى أن الفكر متحد مع العمل، وأن الناس و الإنسان كلاهما مكمل للآخر و أن التطور ليست مجرد حركة بل هو تقدم.

[1] أنظر: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ص 52.
[2] المرجع نفسه، ص55،56.(باختصار)

ج-) كان يعتقد أن جميع المعرفة إنما ترتد إلى فروض عن موضوعات الحس و علاقتها التي يمكن أن تقع تحت الملاحظة[1].

أما جون ستيوارت مل الذي كان تجريبيا متطرفا وأنكر الفلسفة التأملية وأنكر كذلك أولية الحقائق الرياضية. فهو يعد أيضا من رواد البراغماتية وذلك بإعتراف وليام جيمس الذي قال عنه في كتابه البراغماتية" إلى ذكرى جون ستيوارت مل الذي كان أول من علمني سعة الأفق البرغماتية و الذي يطيب لخيالي أن يتصوره قائدا لنا لو كان اليوم حيا...".

كل هذه النماذج التي ذكرناها وإن كانت مختصرة أشد الإختصار لأننا لسنا بصدد سرد كل الخلفية الفكرية لهذا المذهب، تعد بمثابة الرد القاطع على الفكرة الشائعة " البراغماتية بدعة فلسفية معاصرة" إلا أن هؤلاء الفلاسفة وغيرهم كانوا ممهدين لهذا المنهج فقط، و لم تستطع البراغماتية أن تعمم نفسها إلى في زماننا المعاصر[2].

**أ-) الأصول العلمية:**

إن نظرة العلم إلى الحقيقة هي برجماتية بطبعها حسب "هنترميد" ذلك أن مناهج البحث العلمي هي المصدر الأساسي للبرجماتية، فبعد أن يصوغ العالم غرضه لتفسير الوقائع المراد بحثها، يكون المعيار المألوف الذي يتخذه وسيلة للتحقق من ذلك الغرض هو تصميم تجربة تؤدي إلى نتيجة قاطعة تنتهي "بنعم" أو "لا"، وهنا يكون في استطاعت الباحث أن يتنبأ بالنتائج التي تسفر عنها التجربة وهذا بطبيعة الحال إذا كان الغرض من تفسير الواقعة صحيحا. وإذن فالبناء الكامل للعلم ينبني على القدرة على النجاح العلمي لأن الواقع البراغماتية شأنه شأن أي شخص أخر يتأثر كل التأثر بمنجزات العلم الحديث. علىاعتبار أن

[1] مقدمة في الفلسفة المعاصرة، المرجع نفسه، ص55،56.(باختصار)

[2] أنظر: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص57.

كل هذه المنجزات تحققت بفضل هذه النظرية عن الحقيقة التي تتسم بأنها عملية وغير مثالية وواقعية. فكأن تتوسع في شتى المجالات،إذ يفترض من المنطقي أن أي نظرية تثبت أنها مثمرة إلى هذا الحد في مجال معين، ستثبت قيمتها في المجالات الأخرى بدورها،غير أن الهجمات الرئيسية على هذا التوسع البراغماتية و الذي جاء من جانب أنصار المثالية المطلقة. و هي ترتكز على أن النجاح العلمي هو وحده معيار للحقيقة، لأنه من الجائز جدا أن نرى هناك بعضالأخطاء التي ارتكبها البراغماتيون الأوائل في تبسيط مشكلة الحقيقة إلى حد الإفراط، و كذلك حاولوا أن يقيموا نظرية يكون فيها معيار النجاح العلمي الأوحد هو الذي يتحكم في ذاته في تحديد ما هو حق و ما هو باطل[1].

[1] راجع مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق،59،60.

## المبحث الثاني: البراغماتية مفهومها و نشأتها الفعلية

### الفلسفة في الولايات المتحدة الأمريكية قبل البراغماتية:

لم تعط الساحة الأمريكية أية اهتمام للفلسفة كما كانت تبدو على درجة كبيرة من الغموض لأنها(أي الفلسفة) لم تكن من أولويات دولة ناشئة قويةحيث كانت أراء مفكريها مجرد استمرار للنقاش الأوربي، وكان التأثر واضح في ذلك.و بنهاية القرن (18) أصبحت الفلسفة الأكاديمية نقلا حرفيا وعقيما لأفكار الواقعيين الاسكتلنديين من أنصار المذهب الحسي المشترك، و في منتصف القرن (19) شهدت أمريكا انتعاشا فلسفيا رافضا للتقليد الأوربي، وقاد هذا الانتعاش تلاميذ هيجل الذين كانوا متأثرين بنظريات علمية جديدة وخاصة نظرية التطور(هيجيلوا سانت لويس). و في هذه المرحلة برز أول مذهب فلسفي يمكن أن ينتسب إلى الأرض الجديدة وهو المذهب الذي لعب دورا خطيرا في الفلسفة المعاصرةألا وهو المذهب البراغماتي.

**1- المفهوم اللغوي و الإصطلاحي:**

**أ- المفهوم اللغوي:**

البراغماتية كلمة مشتقة من اللغة اليونانية (pragma)براغما أو ببراغماطا (pragmata) التي تعني الفعلأو العمل . وهناك من يرى بأنها مشتقة من الفعل براسو(prraso) أو براطو(pratto)[1] الذي يشير إلى أفعل وتعني: عمل، نشاط، فعل، ولذلك أطلق عليها «المذهب العملي».[2] كما أم براجما تعني «الأشياء التي يجري عملها»[3] و تعني البراغماتية«العمل النافع أو المزاولة المجدية، ومن ثم تعتبر فلسفة عملية أو نفعية»[4] و أعطى لالاند لهذا المصطلح في موسوعته الفلسفية مفهوما اصطلاحيا لمعنى ذريعي

[1] أنظر: محمد جديدي، فلسفة الخبرة-جون ديوي نموذجا-مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط2004، ص16 -17.
[2] نعيم حبيب جعنيني،الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن،ط1،2004،ص180.
[3] روزنتال، الموسوعة الفلسفية، يوسف كرم، دار الطليعة،دط س،ص217.
[4] حربي عباس عطيتو، موزة محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1،2003، ص186.

(ذرائعي،عملي،براغماتيكي)براغما من فعل و خصوصا شيء، بكل معاني هذه الكلمة و كل ما يتعلق بالشؤون، سياسية كانت أم قضائية،في الكلام على البشر: فاعل، ماهر،أحيانا مخاتل، في الكلام على الأشياء: نافع، فعال، متين،- PRAGMATICUS CIERON و ما يختص بالعمل بالنجاح بالحياة سواء في مقابل الواجب الأخلاقي و من ثمة بالمعنى المدحي(المألوف في اليونانية) حقيقي فعال. قابل للاستعمالات النافعة، مقابل ما هو فارغ أو ما هو كلام فارغ.[1]

كذلك يطلق اسم البراغماتية على مجموعة من الفلسفات المعاصرة المختلفة ذات المبدأ الواحد والعام، ومبدأها هو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع، أي أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح و الفكرة الناجحة هي الفكرة التي تحققها التجربة فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، و لا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العلمية ومعنى ذلك لا يوجد معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي،بل الأمر كله .رهن بنتائج التجربة العملية التي تقطع مظان الاشتباه و إذا كانت الحقائق العلمية تتغير بتغير العصور فإن الصادق في الحاضر قد يصبح غير صادق في المستقبل و نتيجة ذلك واضحة جدا وهي أن صدق القضايا تتغير بتغير العلم، و أن الأمور بنتائجها، و أن الحق نسبي أي منسوب إلى زمان معين و كان معين و مرحلة معينة، من مراحل العلم فليس المهم إذا أن يقودنا العقل إلى معرفة الأشياء و إنما المهم أن يقودنا إلى التأثير الناجح فيها[2].

وأول من أطلق عليها اسم البراغماتية هو العالم الأمريكي الشهير "ساندرز بيرس" و الذي سنفصّل فيه لاحقا، ثم طورها بعد ذلك الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس، أما جون ديوي فقد حاول بدوره أن يضع منطقا للتفكير البراغماتية و أن يفتح لها مجالات عديدة للتطبيق ثم انتقلت هذه الفلسفة إلى إنجلترا على يد شيلر الذي طورها وأطلق عليها اسم **"المذهب**

[1]أنظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2،2001، ص2013.1012.
[2]اميل بريهة، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، ج7، 1987، ص165.( بتصرف)

**الإنساني"**، و يقابل هذا المذهب الذي أخذ به "بيرس" و" جيمس" و"ديوي" الأمريكيون، مذاهب فرنسية قريبة منه، كقول برغسون" أن العقل هو القدرة على صنع الأدوات"، وقول لوروا" تقاس قيمة الديانة بما تتضمنه من قواعد سلوكية لا بما تتضمنه من حقائق"، و قول بلوندل" أن العمل هو المحيط بالعقل، فهو يتقدم على الفكر و يهيئ و يتبعه و يتخطاه، و هو تركيب داخلي لا تمثيل موضوعي و قوله "أن التفكير في الله عمل ففي هذه المذاهب كما ترى شيء من البراغماتية إلا أنها لا تبالغ في إرجاع الحقيقة في النجاح العملي، و مع أن بلوندل يشارك البراغماتييننفي بعض آرائهم، إلا أنه يسمي مذهبه بفلسفة العمل، لا بالفلسفة البراغماتية.

و البراغماتي (pragmatique) هو المنسوب إلى البراغماتية و معناه العملي أو النفعي. و البراغماتي (pragmatste) أيضا الفيلسوف الذي يتعاطى البراغماتية علما أو تعليما.

**المفهوم الاصطلاحي:**

البراغماتية في قاموس القرن لدى جون ديوي" النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة و موادها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العلمية أو الغرضية فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة."[1]من خلال هذا التعريف نلاحظ أن البراغماتية نظرية في المعرفة تقف كما قلنا ضد الفلسفات التأملية أو العقلية، وتبدو أيضا و كأنها نظرية تتعلق بتحديد معاني الألفاظ والعبارات. كما يمكن أن نقول عنها أنها تكاد تكون أقرب من أن تكون طريقة في التفكير تحاول وضع معيار التمييز بين ما هو حق و ما هو باطل ولهذا نجد وليام جيمس يؤكد مرارا على أنها« مجرد منهج و مبدأه الأساسي يقوم على ربط صحة الفكرة بالمنفعة أو

[1]نعيم حبيب جعنيني،الفلسفة و تطبيقاتها التربوية، مرجع سابق،ص122.

بنجاحها في عملية حل المشكلة »[1]، وهي كذلك (أي البراغماتية) فلسفة أمريكية معاصرة وتعتبر تطويرا للاتجاه التجريبي العلمي ودفعا به إلى نتائجه الطبيعية،فضلا عن أنها ثورة على نظرية المعرفة خاصة المذهب العقلي الذي يرى في العقل أداة للمعرفة، بينما ترى السلوك أو الفعل هو مصدر المعرفة و تتبنى موقف مؤداه تحويل النظر عن الأوليات والمبادئ إلى الغايات و النتائج من خلال وضع العمل كمبدأ مطلق، فالمنفعة العملية للمعارف مصدر لها و معيار رئيسي لصحتها. فالبراغماتية أفكارها لا قيمة لها إلا متى تحولت إلى أفعال تؤدي إلى إعادة تنظيم العالم الذي نعيش فيه ومن ثم فإن محمل صدقها هو التجربة،[2] كما أنها قاعدة أو عادة طبيعية للذهن الإنساني الذي يقوم عادة بالبحث عن حل للمشاكل التي تصادفه في الحياة، فهي من المنطلق تعبير عن فكرة، تبحث عن حل، كما أنها" منهج و طريقة للتأكد و البحث في المفاهيم المستعملة من طرف العقل و العمل".[3]

يرشدنا الفيلسوف جون ديوي إلى ما تعنيه البراغماتية من خلال الدلالة الاصطلاحية في قوله:«" إني أؤكد- على سبيل الجزم- أن لفظ البراغماتية لا تعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير و كل اعتبارات التأملية إلى نتائجها." أو كما قال عنها في موضع أخر "البراغماتية كاتجاه يمثل ما وفق "بيرس"في تسميته" العادة المخبريةللذهن" HABIT OFM IND LABORATORY ، و قد امتدت لتشمل كل ميدان يمكن للبحث أن يثمر فيه و يعطي نتائج».[4] البراغماتية كذلك يعرفها وليام جيمس:"أن نستدبر الأشياء و الثمرات و النتائج و الواقع الأخيرة."[5] و يطلق عليها مصطلح الذرائعية الذي هو اتجاه فلسفي روج له وليام جيمس أبرز ممثليه. و مفاد الاتجاه الذرائعي، أن الحقيقة في علاقة صميمية مع التجربة الإنسانية.

[1] فريدة غيوة، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،دطس، ص83.
[2] نعيم حبيب جعنيني،الفلسفة و تطبيقاتها التربوية، مرجع سابق،ص185.
[3] فريدة غيوة، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،دطس، ص100.
[4] محمد جديدي، فلسفة الخبرة – جون ديوي نموذجا – مرجع سابق، ص18.
[5] احمد الأهواني ، نوادر الفكر الغربي، جون ديوي، دار المعارف، مصر، ط2، 1968،ص89.

إن الفكر هو الأساس ذو طابع غائي، عملي و المعرفة أداة في خدمة الفعالية و العمل. و مذهب الآلة هو أبرز فروع الذرائعية، قال به جون ديوي ومفاده: إن النظرية آلة أو ذريعة للتأثير على التجربة و تبديلها، و أن النظرية وسيلة للسيطرة على المواقف و زيادة التجارب[1] إذن فاسم البراغماتية يطلق على تلك المجموعة من الاتجاهات في الفكر الحديث، متباينة و متجاورة في حين. ولقد أطلقها بيرس لأول مرة ولعبت كتابات وليام جيمس البراغماتية الطابع الواسعة الانتشار، دورا بارزا في الحجم الذي احتلته البراغماتية في الفكر الحديث، و لقد جرى التوسع بعد ذلك في تفصيل النهج البراغماتية على يد كل من ديوي في الو.م.أ و شيلر[2] في بريطانيا. فهي ليست نظرية فلسفية دقيقة التحديد إنما هي تيار فلسفي.[3]

## 2- خصائص الفلسفة البراغماتية:

يمكننا أن نلخص الخصائص التي اتسمت بها الفلسفة البراغماتية في اعتمادها على الخبرة و أن الخبرة معيار التحقق، و كذا رفض وجود الشيء في ذاته، و قبول مبدأ بيرس من أن تصورنا لموضوع ما هو في ما ينتج عنه من آثار عملية كما أنها خاصية الطبيعة مما ينفي عنها الغائية و أن للاعتقاد دور مهم في معارفنا و التأكيد على الطابع الاجتماعي لذواتنا و الإيمان بالتقدم داخل نظام اجتماعي.

كما هناك خصائص أخرى تتميز بها البراغماتية لكنها لا تحضا باتفاق كل الفلاسفة البراغماتيين و نذكر منها:

أما الميزة الأولى و الأساسية في هذا المذهب هي "اعتماد العادة كقاعدة للأخلاق والمعرفة و القول بالنزعة التطورية مع تحفظ "بيرس" اتجاه الداروينية، وضرورة التفاعل

[1] أنظر: محمد سليمان حسن، دراسات الفلسفة الأروبية، مرجع سابق،ص39.

[2] فريناندشيلر، (1938 - 1964)،أستاذ باكسفورد، صاحب المذهب الإنساني عرضه في كتابه دراسات المذهب الإنساني 1908 هذا المذهب هو البراغماتيزم و جاء اسمه من أن المعرفة هي الشرط الأول للعمل المنتج وإنما أمر إنساني تابع لأغراضنا الحيوية . و أن العلوم مشبعة بالإنسانية لأنها من صنعنا و مرتبة لأغراضنا.

[3] س،ي،جود، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، تعريض محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 85.(بتصرف).

لتكيف الكائن الإنساني مع المحيط".[1] كما أن الفلسفة البراغماتية تتميز" بنزعة لاعقلية، تقرر أننا لا نستطيع أن نفرض على الواقع مفهوماتنا العقلية"،[2]وفلسفة مردود بمعنى أن النتيجة وحدها هي التي تنفي أو تؤكد حقيقة و صحة أي نظرية معرفية و كذا انعكاسا للأثر الفكري الأمريكي على الفلسفة الأوربية و طرحا جديدا.يتسم بالمنطقية و العملية لدور الفلسفة البراغماتية، النزعة الإنسانية أو الشخصانية[3] و رغم اختلاف الفلاسفة من زوايا متعددة ووجهات نظر مختلفة، فإننا نجدهم يتفقون حول مبدأ واحد متمثل في العمل، و هذا ما جعل الفلسفة البراغماتية فلسفة عملية بالدرجة الأولى تؤمن بالواقع العملي الفعلي وتصب كل اهتمامنا بالنتائج التي يقدمها هذا العمل. فهي فلسفة تتميز بصفة أساسية بتجربة التفكير و التعبير أن الفيلسوف البراغماتية يشك في كل الأفكار و بالتالي يفتح المجال واسعا أمام ذهنه و عقله من أجل البحث و الدراسة و الكشف. و في هذ المجال يمكننا تمييز البراغماتية أنها تثور على العقل(anti-antellectualiste)أي أنها غير مؤسسة على أفكار أو معاني أو تصورات مسبقة و ثابتة من شأنها أن تتنبأ بما سيكون مستقبلا، و هي فلسفة مفتوحة لا دوغمائية (anti-dogmatique) حيث نجدها تُعرض عن كل المعتقدات الثابتة المتحجرة و تبقى كذلك لأنها تؤمن بالتغير و التطور و النمو، كما أنها فلسفة تؤكد على التجربة الإنسانية و تحرص على الاهتمام بالجزئيات بدل الكليات[4].

[1] محمد جديدي، فلسفة الخبرة، مرجع سابق،ص 52.
[2] ابراهيم ابراهيم ياسين، مدخل إلى الفلسفة العامة، دار مكتبة الإسراء للطبع و النشر و التوزيع، ط1، 2005، ص329.
[3]أنظر: هاني يحي نصري، دعوى للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2002،ص341.
[4]أنظر:فريدة غيوى، اتجاهات في فلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص100.

**النشأة الفعلية للمذهب البراغماتي:**

ما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن الدوائر التي لعبت دورا بارزا في نشأة الفلسفة البراغماتية يحصرها كثير من الذين كتبوا عن تاريخ الحركة البراغماتية في دائرتين اثنتين هما: "النادي الميتافيزيقي، ومدرسة شيكاغو"[1].

- **النادي الميتافيزيقي**: أما فيما يخص الدائرة الأولى فقداتفق جماعة من المفكرين خريجي هارفارد أن يجتمعوا في منزل أحدهم يتناقشون ويتباحثون في المشكلات الفلسفية، يجمعهم أساس واحد هو التجريبية، ومعها الاعتقاد، وكانوا ستة «هم بيرس، تشونسيريت "wright" نيقولا جون جرين، وليام جيمس، جون فيسك،فرانسأبوت " appot"»[2] لم يكن لهذا النادي وجودا رسميا على غرار نادي أفلاطون platoclub أو مدرسة الكونكورد الصيفية concordsummerscool غير أنه يعتبر (أي النادي الميتافيزيقي)المهد الذي نشأت ونمت فيه حركة فلسفية ومن خلال المناقشات التي كانت تدور بين أعضائه مابين سنوات (1870-1876)[3]. كون "جيمس" و "بيرس" وآخرون "النادي الميتافيزيقي" فكانت البراغماتية حصيلة النشاط الفلسفي للنادي، وكان "بيرس" هو المتحدث الرسمي باسم النادي وهو مؤسسه وأرادها أن تكون قاعدة منطقية يعبر عنها قوله المشهور «تدبير الآثار التي يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذي يفكر فيهوعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هي كل فكرتنا عن الموضوع»[4]. لم تكن تسميته الميتافيزيقي التي حملها النادي تمت بصلة إلى الميتافيزيقا. وأعضاؤه لم يكونوا ميتافيزيقيين وإنما كانت كلمة ميتافيزيقي تعني عندهم نوعا من السخرية والتحدي للميتافيزيقي للتيار الهيجيلي خاصة، الذي بدأ يتقهقر بعد سنة 1870. إن أهمية "النادي الميتافيزيقي"

[1] محمد جديدي فلسفة الخبرة، مرجع سابق، ص27.
[2] محمود فهمي زيدان، وليام جيمس، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، إسكندرية مصر- ط1، 2005، ص35.
[3] محمد جديدي، فلسفة الخبرة، مرجع سابق، ص27.
[4] عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص93.

تتأكد من خلال المناقشات الفلسفية التي كانت تجري بين أعضائه، ومساهماتهمفي إدخال الروح البراغماتية في الكثير من المجالات الفكرية من خلال اختصاصاتهم المتعددة. وأبرز مثال لهذه المناقشات العرض الذي قدمه "بيرس" في ماي سنة 1872 أمام أعضاء النادي حول نظريته في الاعتقاد والشك وكانت هذه النقطة هي الأساس الذي بنيت عليه الفلسفة البراغماتية فقد لفت (نيكولا،سان جان غرين)الانتباه إلى نظرية "الكسندر" بين (1818-1903) في الاعتقاد التي تعرفه على أنه ما يجعل الإنسان مستعدا للفعل ومن خلال هذا التعريف بحسب "بيرس" فإن "بين" جدير بأن يكون جد البراغماتية الأول ، لذلك أنها أصبحت أي البراغماتية نتيجة طبيعية بهذا التعريف للاعتقاد إلى جانب الدور الذي لعبه النادي الميتافيزيقي في نشأت البراغماتية نتيجة طبيعية بهذا التعريف للاعتقاد إلى جانب الدور الذي لعبه النادي الميتافيزيقي في نشأت البراغماتية فإن هناك مدرسة كان لها كذلك الدور المعتبر في قيام هذه الفلسفة.مدرسة شيكاغوchicagoscool، و هي المدرسة التي أسسها " ديوي" عندما ذهب إلى مدينة شيكاغو في منتصف عمره، والتفت حوله جماعة من المفكرين شكلوا نواة الأداتية[1] جهودها في سنة(1903)، "كتاب دراسات في النظريات المنطقية" و كان من بين هذه الجماعة فلاسفة أمثال "جورج هاربرت ميد" (1863-1931)"جيمس نافتس" و"جيمس أنجل" و غيرهم. و قد استرعت هذه الجماعة انتباه، و "وليام جيمس" الذي تطلع إلى تأسيس مدرسة فكرية من خلال البراغماتية و ذلك في رسالة بعث بها إلى "تيو دور فلو رنوي" في (1907) يقول فيها:«...أريد أن أحولكم إلى متحمسين لديدن البراغماتية(...) لم أكن ادري (...)مدى قوة فكرة البراغماتية(...) في تأسيس مدرسة فكرية وفي كونها تصبح "قضية" ماثلة، و لكنني الآن أتأجج حماسة لها باعتبارها قد زحزحت كل النظم

[1] محمد جديدي، فلسفة الخبرة، مرجع سابق،ص28.

العقلية كلها بكل استثناء(...)النظم التي فيها عناصر ذات فلسفية عقلية»[1]. و قد رأى "وليام جيمس" مشروعه يتحقق على يد "ديوي" و جماعته-أي مدرسة شيكاغو"- لما مثلته هذه من مدرسة حقيقية و فكر حقيقي، و كتب بقول «لقد برزت في جماعة شيكاغو خلال الستة أشهر الأخيرة ثمرة جهود عشرة سنوات من العمل تحت إشراف "جون ديوي" و النتيجة مذهلة، مدرسة وفكر حقيقي(هل سمعتم شيئا عن هذه أو عن هذه الجامعة من قبل؟ هنا في هارفرد عندنا فكر. ولكن ليست لدينا مدرسة أما "يال"-"yale"- توجد مدرسة ولكن لا يوجد فكر،أما في شيكاغو فيوجد الإثنان»[2].

إن هذه الجماعة التي نمت في مدرسة شيكاغو و عرفت باسم الأداتية أو الوسيلة "instrumentalism" أهدت كتاب دراسات في النظرية المنطقية إلى" جيمس" الذي يتسائل عما فعله ليستحق هذا التقدير، و كان الجواب من "ديوي" على هذاالسؤال« أنه صاحب الفضل في هذا التوجه نحو المذهب البراغماتي من خلال كتابه"مبادئ علم النفس"»[3]

[1] محمود فهمي زيدان، وليام جيمس، مرجع سابق، 37.
[2] محمود فهمي زيدان، وليام جيمس، مرجع نفسه، 39.
[3] محمد جديدي، فلسفة الخبرة، مرجع سابق،ص29.

## المبحث الثالث: أهم أقطاب الفلسفة البراغماتية

### 1- شارل ساندرز بيرس:

من الفلاسفة من تقرأ لهم فتراك تنساب على بسيط هين لا تعترضه حزون فيشوقك السير، لكنك إذا ما أكملت الشوط وجدت جعبتك تكاد تخلوا من الجديد الذي يهزك هزا. ومنهم من تقرأ لهم تحس كأنك تصعد الجبل الوعر، أمامك في كل خطوة عقبة لابد من محاولة اجتيازها قبل أن تمضي في الصعود، لكنك إذا ما بلغت نهاية الطريق، ألفيت نفسك على قمة نقية، لا يشوب سمائها هذا الغبار الذي يكتنف حياة الناس فوق الأرض.

من هذا القبيل "شارل ساندرز بيرس"« charlessanderspierce » 1839-1914 الذي كان بمثابة أول فيلسوف أمريكي يخرج على العالم بفكر جديد يبلور فيه الحياة العقلية كما تمثلت في القارة الجديدة، فهو الذي خلق البراغماتية خلقا، ثم هو الذي بلغ بها غاية كمالها، فإذا جاء بعده التابعان الكبيران اللذان سارا على نهجه وهما "وليام جيمس" و "جون ديوي" لم يسعهما إلا أن يتحركا في الإطار نفسه، برغم ما جاء به من تعديل و تحويل[1] ولم تستخدم ذرائعية إلا عام(1898)، لكن المذهب كان عرض في مقال بيرس الشهير: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟How to makeourideasclear 1878. الترجمة الفرنسية في المجلة الفلسفية، و قد تضمن المقال القاعدة التالية للتحقق من دلالة الأفكار التي نستخدمها:"أنظر في الأثار ذات البعد العملي التي تعتقد أنه من الممكن أن ينتجها موضوع تصورنا: إن تصورنا لهذه الأثار هو كل تصورنا للموضوع": بعد عملي، أي إمكانية ضبط تجريبي".[2]

[1] أنظر:زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1979،ص202.
[2] اميل بريهة، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، 1987، ص155.

لقد سعى "بيرس" إلى تحديد ما تعنيه الأفكار و المصطلحات التي نستخدمها بهدف جعل المسائل الفلسفية تتبع نظاما أكثر إحكاما و براغماتية.[1] و تتمثل فلسفة" بيرس" في محاولته توضيح المصطلحات الأساسية للبحث، فالمصطلح بما هو اسم وصفة، و خاصة في مجال البحث العلمي. وبالتالي فإن المصطلح بما هو لغة،يدل دلالة كبيرة على معنى الفعل لدى الإنسان، ولإدراك معنى البراغماتية في اللغة، يجب أن يتركب المذهب من ثلاثة عناصر أولية:افتراضية، عملية، تجريبية، فالفكرة تقوم لبنائها و إثبات وجودها على كم افتراضي لا ذهني، عملي، بل أساسه التجربة،فلكي أثبت صحة مقولة مثلا-صلابة الحديد – لابد من افتراض عدة قضايا افتراضا ذهنيا، على صحة كون الحديد صلب، ثم نقوم بشكل علمي بتبيان صحة ذلك، من خلال التجربة، وصولا إلى النتائج المرجوة، هذا يؤدي إلى نتيجتين هما: إذا خلت العبارة من تلك العناصر، تعتبر باطلة، و النتيجة الثانية: إذا كان التعريف الذرائعي لعبارتين عامتين واحدة، فإن العبارتين تكونان مترادفتين، مهما اختلفتا من الأخرى، بناءا على ذلك نصل إلى النتيجة التالية: بخلو وبطلان معظم العبارات الميتافيزيقةلإنعدامإمكان البرهنة عليها وفق العناصر الثلاث السابقة[2]. و هذا ما يعيدنا إلى التحليلية المنطقية لدى "فجيشتين" و "مور"و"راسل" في بريطانيا.

النقطة الثانية في فلسفة "بيرس" «هي الاعتقاد فالاعتقاد بالنسبة له، هو شيء نشعر بوجوده يهدئ الاضطراب الناشئ من الشك و يتضمن إقامة قاعدة للفعل في طبيعتنا بما هي عادة»[3]. إن ذلك يعنيأن وظيفة الفكر إنشاء العادة، فالغاية هي التلاؤم بين الفكر و ما يريده الفكر هو ما يحس به، وعندما يطمئن إلى ايجابية عمله، مما يكرس لديه مفهوم العادة، بما هي طريقة في العمل، فالعمل مرتبط بالعادة، و المفهوم مرتبط بالاعتقاد بما يؤدي إلى فكرتنا عن أي شيء، هي فكرتنا عن نتائجها الملموسة. فالحقيقي خارج نطاق التأثير

[1]أنظر: حسن جميل طه، الفكر التربوي المعاصر، جذوره الفلسفية، مقارنة تحليلية نقدية،دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطابعة، عمان، ط1، 2007،ص93.
[2]الفكر التربوي المعاصر، مرجع نفسه، ص95،(بتصرف)
[3]الفكر التربوي المعاصر، مرجع نفسه، ص97.

الشخصي أصلا. هذه البراغماتية التي حاول بيرس البرهنة عليها هي براغماتية تختص بالعلوم العلمية.[1]

## 2- وليام جيمس william James 1842-1910:

عالم نفساني وفيلسوف أمريكي. ممثل الفلسفة البراغماتية الذاتية. ينتمي إلى منطقة نيو انغلند بروتستانتي متمسك بعقيدته، مما أثر في تفكيره. على الرغم من شكوكه في اللاهوت. يعد من أهم الشخصيات الأمريكية في الفلسفة. من مؤلفاته: مبادئ في علم النفس 1890- الرغبة و الإيمان 1887-البراغماتية1907- فلسفة التجربة1909-جوهر الحقيقة1909-.

إن أهمية جيمس تعود إلى عاملين:

نشره للفكرة البراغماتية في مقال له بعنوان-البراغماتية- نشره عام 1907 موضحا، أن البراغماتية جانبين: «فهي من جهة منهج يراه جيمس معادلا للموقف التجريبي. و من جهة أخرى وسيلة للتعامل مع العالم»[2]، و العمل الثاني نظريته في التجريبية الجذرية radicale empirism نشرها عام 1904- في مقال له بعنوان- هل للوعي وجود؟ و فيها يصل "جيمس" إلى نتيجة مفادها أن الشيء الوحيد الذي يستحق الاهتمام هو ما يكون جزءا من التجربة البشرية.

يعتمد مذهب "جيمس " على تصور ديناميكي حركي و تتعددي للوجود. فالعالم في صيرورة، يتكون من أفراد متعددين. و هو إن صح التعبير يعارض المذهب العقلي باتجاه التجريبية، معتمدا على فرضية تحقيق الممكن، من خلال التجربة على مبدأ المصادفة ولبراغماتية لد جيمس تقوم على أن صحة الفكرة تؤدي إلى إدراك مضمونها،و المنفعة كل ما يساهم في تألق حياة الإنسان و تعني البراغماتية لدى " جيمس" أيضا بالمشكلات الإنسانية، و الأخلاقية القيمةالدينية. كما تعني بالمشكلات العلمية و طرائق العلوم، كل ذلك

[1] أنظر: محمد سليمان حسن، دراسات فلسفية، مرجع سابق، ص38.
[2] الفكر التربوي المعاصر، مرجع نفسه، ص36.

في حركة وساطة بين التطبيق العقلي و التجريبي من خلال مفهوم التجربة العلمية.[1] و قد تابع "جيمس" موقف "بيرس" فهو «يرى أن الفكرة الصادقة هي التي تؤدي إلى النجاح في الحياة العملية، و العقيدة الصحيحة هي التي تحقق أغراض نفعية في الحياة العملية، ومن ثم فإن هذه الأفكار و العقائد تكون موضع طلب لذاتها لأنها وسائل لتحقيق أغراض واقعية،ويصبح معيار الصواب و الحق بالنسبة لأي فكرة هي قابليتها لأن تكون أداة سلوك عملي».[2] و يعرف "جيمس "عادة في الأوساط الفلسفية بأنه المدافع عن البراغماتية باعتبارها نظرية الصدق. وهو يعترف أن "بيرس"هو مصدر نزعته البراغماتية بيد أنه يتبنى ملاحظة أن الكلمة تحمل معنى مختلف كل الاختلاف عن "جيمس" عما تحمله عند "بيرس" .فقد صاغ بيرس المبدأ البراغماتي بوصفه إحدى القواعد أو المبادئ الكثيرة التي تتحكم في البحث حين يحدوه الذكاء .[3]

أما براغماتية "جيمس" إنما توسع من منهجه الأداتي في علم النفس حتى يصبح مبدأ فلسفيا عاما. فالأفكار شأنها في ذلك شأن العقول ينبغي أن تعالج على أساس ما تؤديه و يحكم المرء على فكرة ما بأنها صادقة فإنه يدعى بذلك أنها تقوده إلى النجاح من خلال الخبرة. فليست الفكرة من الأفكار سرا أو لغزا بل هي أداة. وما هيتها تكمن في قدرتها على التنبؤ و من خصائص نظرية "جيمس" البراغماتية في المعرفة خاصية تتصل باستخدامه لعبارة- مدرك عقلي- فكثير من الفلاسفة إلى أن المدرك العقلي لا يمكن أن يكون شيئا أقل من قضية كاملة. و في هذا يخالفهم "جيمس" متأثرا بأستاذه أجاسيز وقد ضمنها كتابه – التجريبية الأصيلة- و لقد كان"جيمس" قلبا نابضا في أعماق الفلسفة الأمريكية المعاصرة في سنة 1908 ألقى آخر محاضراته في الفلسفة في جامعة هارفارد.[4]

[1] المرجع نفسه،ص39،40.(بتصرف).
[2] محمد علي أبو ريان، فلسفة ومباحثها مع ترجمة المدخل إلى الميتافيزيقا، دار المعرفة الجامعية،ط4،2000،ص25.
[3] أنظر: إسماعيل الشرفا، الموسوعة الفلسفية، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، ط1،2002،ص92.
[4] وليام جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، ت محمد فتحي الشنيطي، مراجعة زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي للتأليف و الترجمة و الطباعة والنشر،د(ط س)، ص10،11.(بتصرف).

### 3- جون ديويJ.Dewey 1902:

إذا كانت برجماتية"بيرس" قد نشأت عن دوافع عملية، و صدرت برجماتية"جيمس" عن بواعث أخلاقية دينية، فإن "جون ديوي" يحاول الجمع بين الاتجاهين مع الاهتمام بتطبيق المنهج البراغماتية على الخبرة البشرية. وكان احد ثلاثة كبار البراغماتية، و لم يؤثر فيلسوف في الحياة الأمريكية تأثيره فيها، و مفتاح فلسفة ديوي هو مفهومه عن الخبرة نزعته التجريبية و تعقله بالعيني أو المجسم و معارضته للثنائيات في الفلسفة.[1]و مؤلفاته الرئيسية هي «علم النفس1887، دراسات في النظرية المنطقية-1903- الفن خبرة-1934- التجربة و التربية-1938-»[2]. و لعلنا نستطيع أن نميز ثلاثة محاور أساسية في فلسفة ديوي الأداتية ألا و هي –الترابط العضوي- التطور-التجريبية.

أما المحور الأول وهو _الترابط العضوي فقد كان راسخا في نفسه بتأثير دراسته الأولى لهيجل" من ناحية ،و لنظريات "هيكسيلي" البيلوجية من ناحية أخرى ،و ظل ديوي _نتيجة لهذا التأثير _ على اعتقاد لازمه طيلة حياته بالتفاعل العضوي والتماسك الوثيق بين الأشياء،و هذا ما دفعه أيضا إلى معارضة كل ثنائية في الفلسفة : بين المادة والعقل ؛التجربة و الضرورة ،بين الواقع القيمة .

أما المحور الثاني و هو التطور فقد تأثر فيه بداروين الذي لم يسلم أحد من تأثيره في ذلك العصر ،و يتضح هذا التأثير في نظرياته التربوية و الاجتماعية و السياسية على حد السواء _و أما المحور الأخير ،ونعني به التجريبية ،فقد كان تراثا مشتركا في الفلسفة الأنجلوسكسونيةبوجه عام ،و في الفلسفة البراغماتية الأمريكية بوجه خاص ،[3] و أن أمكننا تسمية نزعة ديوي الأداتية بأنها تجريبية طبيعية على وجه التحديد فمذهب ديوي ضرب -Instrumenttalism- من البراغماتزم ،وقد دعا إلى لاعتباره المعرفة آلة أو وظيفة في

[1] أنظر: إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل الفلسفة العامة،مرجع سابق، ص333
[2] عبد المنعم الحنفي،الموسوعة الفلسفية، م جع سابق،ص199
[3] أنظر: فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،ط1،1993،ص117.

خدمة مطالب الحياة .وقد كان ديوي داعية قوي التأثير إلى الإيمان بفاعلية الفكر و بالروح الديمقراطية وهو في كل هذا ماض مع الاعقلية الأمريكية المتجهة إلى الحرية[1] فقد كان واسع التأثير في الشؤون العملية،و اعتبرت فلسفته مهمة إنسانية ،و تشابهت آراءه مع آراء _فراويل_ ،كان لنظرية ديوي و طرقه أعمق التأثير في توجيه التربية في أمريكا ،و في العالم كله .كانت فلسفة "ديوي" جزءا متكاملا من فلسفته الاجتماعية ،فقد كان يؤمن بأنه لايمكن فصل الفرد عن المجتمع ،و يجب أن الفرد سلوكه على ضوء التوقعات الاجتماعية ،حتى يمكنه أن يلم بالنظم و القيم السائدة في المجتمع .و أن يتوافق معها [2].وقد استعاض ديوي ما أسماه بالوسيلة _الغاية- ،فالغايات التي نضعها لأنفسنا لا تكون نهائية إلا قبل أن تنجز ،فإذا أنجزناها أصبحت وسائل إلى غايات أخرى نسعى إلى تحقيقها .و الأفكار ليست سوى أدوات تقودنا إلى الفعل ،و من هنا كانت تسمية الأداتية، بيد أن ديوي يصف فلسفته أيضا أنها نزعة طبيعية ،إذ يعتقد أن القيم أمر يمكن أن يكتشف أثناء التجربة،و أن تقوم التجربة بالتصديق عليه .وهذا يطلق عليه في مجال الأخلاق ،بالنظرية الطبيعية [3]كما أن ديوي انتهى من خلال فلسفته الأخلاقية إلى أفكار ثورية في مجال التربية،وهو المجال الذي اشتهر فيه ديوي بين العامة و الخاصة بوصفه واحد من أعظم واضعي أسس التربية التقدمية ،و هي في الواقع أسس تأتي نتيجة طبيعية لفلسفته ككل.فعملية التربية عند ديوي تتركز في تكيف الفرد مع الحياة الاجتماعيةإذ ينظر إلى المعرفة بوصفها قوة لا تتيح السيطرة و التحكم في البيئة في نهاية الأمر فحسب ،بل تتيح له أيضا القيام بعمليات التجريب وإعادة التكيف في عملية تستغرق حياته كلها من المهد إلى اللحد [4].

وقد فهم "ديوي" التربية على أنها عملية اجتماعية يشارك بها كل فرد - وفقـــــــا لطاقاته و قدراته - في مسؤولية العمل على تشكيل أهداف مجتمعة و صياغة قواعده ،و بالتالي فقد جعل ديوي من التربية لفظا للديمقراطية لا بوصفها مذهبا معينا في الأنظمة السياسية ،بل

[1]أنظر: يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،مصدر سابق ،ص425.
[2]عيسى خليل محسن ،الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي ،دار جرير للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1،2006،ص134.(بتصرف)
[3]فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،مصدر سابق ،ص120.(باختصار).
[4]أنظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،المصدر نفسه ،ص122.

بوصفها أسلوبا في الحياة ،أو على الأصح الطريقة الإنسانية السليمة في الحياة .نظرا لأهمية هذه الفكرة في فلسفة "ديوي" من دراسته لهذا الموضوع إلى نتيجة - نحن أحوج ما نكون إلى اتخاذها شعارا لنا - و هي :أن التطبيق العام لمناهج العلم في كل ميدان ممكن من ميادين البحث ،هو الوسيلة الوحيدة القادرة على حل مشكلات الديمقراطية الصناعية[1] و يقدم دوي في كتابه- الديمقراطية و التربية- الذي نشر عام"1916"، فلسفته في التربية بالتفصيل، ويرى في هذا الكتاب« أن التربية هي العملية التي تعين الجماعات البشرية على استمرار وجودها إلى تنوع أعظم من اهتمامات تشارك فيها بالتبادل و لا تقتصر على المحافظة على عادات راسخة و متأصلة كما يعتقد ديوي أن الفلسفة تنشأ من مشكلات تنشأ في صعوبات الحياة الاجتماعية».[2] و لهذا كانت البرغماتية عند دوي و عند البراغماتيين الأخرين طريقا و منهجا قبل أي شيء آخر، وهو منهج لتوضيح المدركات و المعاني، و منهج كذلك للحسم في المناقشات الفلسفية، و توضيح الرؤى المتصارعةحول الحلول الممكنة لقضايا الإنسان و المجتمع و ذلك بالاستناد إلى النتائج و النشاطات و الخبرات. وإذا كان الفلاسفة الثلاث المذكورين سابقا، هم الذين وضعوا مبادئ وأسس البراغماتية، فإن هناك مجموعة أخرى من الفلاسفة في الو.م.أ و في أروبا، عملوا علىتوسيع دائرة هذه الفلسفة وانتشارها،ومن بين هؤلاء نجد ج.ه.ميد الذي كان صديقا لدوي و مشاركا له في نفس التصورات. كما يمكن ذكر بعض البراغماتيين الأخرين مثل راسل وبودي وكالين[3]وشيلر، إلى غير ذلك من البراغماتيين الذين كان لهم الدور الفعال في إرساء هذا المنهج.

[1]أنظر:فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،مصدر سابق ،ص120.
[2]المصدرنفسه، ص513.
[3]أنظر:محمد جديدي فلسفة الخبرة مرجع سابق،ص36.

**المبحث الأول: وليام جيمس فيلسوف براغماتي:**

لقد شغل علم النفس الحيز الواسع عند وليام جيمس حيث كان يرى أنه علم يعني به إحاطة النظر بالإنسان وفحصه فحصا شاملا، و بالتالي ينمكن أن نقول أن هذه الرؤيا حتمت عليه نظرة فلسفية في علم النفس و هذا ما عبر عنه في قوله :«أعترف أنني في أثناء السنوات التي مرت منذ صدور الكتاب*، أصبحت مقتنعا أكثر و أكثر، بصعوبة معالجة علم النفس دون إدخال مذهب فلسفي صحيح ومناسب».[1] خاصة و أنه اهتم بدراسة موضوع الشعور كتيار متواصل،و انعكاس لخاصية الوعي البشري، كموضوع أساسي لمختلف الحوادث و الحالات النفسية المعبرة عن الحياة الداخلية السيكولوجية للإنسان.

إن اعتبار الشعور كتيار من تيارات الحالة النفسية الواعية التي لا تعرف التوقف عن إمدادنا بمصدر الحيلة النفسية، بما فيها الحرية و الرغبة و الاكتساب و التطور. يُظهر لنا التداخل المباح بين علم النفس و الفلسفة في دراسة الإدراك و التفكير وغيرهما من أشكال المعرفة و الثورة ضد ثنائية الموضوع و الذات و الجسم و العقل.

هذه العوامل و غيرها و التي يمكن أن نقول عنها أنها لم تكن إيجابية دفعت وليام جيمس إلى أن يُحول الفلسفة لمنحى جديد و أفق متفرد، مقارنة بباقي المذاهب الفلسفية متسائلا: ما قيمة الأفكار و النظريات و الفلسفات التي لا تكون لنا معينا في حياتنا وأهدافنا؟

باختصار هي الفلسفة البرجماتية التي عرفت توسعا و انتشارا في أوساط الخاصة والعامة داخل و خارج الو.م.أ، مع جيمس و التي عرفها بعبارة مختصرة مفيدة:" اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير"[2] لكن هل هو تفكير فيما مضى و انقضى، أم فيما يرد وافدا علينا في المستقبل؟ هل هو تفكير من أجل التأمل لا أكثر وضبط التصورات، و الترف النظري،أم أنه تفكير لحل مشكلات الإنسان، و لأغراض عملية في واقع الحياة؟

[1] رالف بارتون بيري، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، الناشر عالم الكتب- القاهرة، ص265.
[2] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط3، القاهرة، سنة1987، ص117.

هل واقع الإنسان و عالمنا الفيزيائي، الخارجي الذي نوجد فيه يفرض حقيقة ضرورية واحدة على عقولنا و توجهاتنا، أم أنه واقع يشهد فيضا من الحقائق الجزئية، المتغيرة بتغير اهتماماتنا و دينامية أفكارنا و أفعالنا و قدراتنا على التأثير في تيار حياتنا المتدفق؟

إن الأبحاث السيكولوجية في فكر وليام جيمس بحد ذاتها لا تخلو من أبعاد فلسفية، فعلم النفس عند الفيلسوف الأمريكي وليام "جيمس" هو " فلسفة العقل البشري" كما أدلى بهذا الحكم بول ودرنج.

إلا أن الاهتمامات العلمية، بالتاريخ الطبيعي و الطب، و الفزيولوجيا و علم النفس والتربية، و الأبحاث التجريبية التي كان يقوم بها حول فلسفة العقل البشري، و التطلع ما وراء علم النفس، أي الأبحاث البراسيكولوجية، كالتنويم المغناطيسي، و الانفصام العقلي والإحساس عن بعد، و الطاقة الروحية و غيرها من الخوارق، "و قد كان شديد النهم العلمي، وواسع الآفاق في البحث و الاستطلاع واسع العلاقات العلمية في أمريكا وأوروبا"[1]، بهذا المزاج المتنوع و المنطلق من أسس البحث العلمي، تأسست نظرة جيمس الفلسفية، فأصول طروحاته الفلسفية راجعة لحماسه، أين نجده يعرض و يفسر التأثير الذي مارسه على مستمعيه و قارئيه، إضافة لعدد الدعوات الفلسفية التي أثارها أو شجع عليها. زد على ذلك مزاجه الأمريكي الميال للعمل[2]، من هذه الزاوية حاول جيمس أن يبدأ الفلسفة من جديد مستعينا بالمنهج العلمي، و ميول و انطباعات و وجهات الثقافة الأمريكية ممثلة في الانفتاح، و الواقعية و الروح الجماعية، و حب العمل و الكسب و النجاح، بهذا أحدث ثورة و انقلابا خالدا في تاريخ الفكر الفلسفي، ثورة شبيهة بتلك التي أعلنها كوبرنيك في ميدان العلوم، حيث حول الفلسفة من فضاء أحلام التأملات و المجادلات الكلامية، والنظريات، إلى دنيا الواقع و العمل، و جعلها عالما مفتوحا. حيث لم يقف تأثير "جيمس" عند زميله "بيرس" بل كان تأثير "داروين" واضحا في فكره و عرض المذهب البرجماتي عرضا واضحا جذريا، فالفلسفة أصبحت وسيلة[3]، و الحقيقة هي ما يفيد الإنسان في خلق حياة هادئة

[1] وليام جيمس، أحاديث للمعلمين و المتعلمين في علم النفس،ترجمة محمد علي العريان، الناشر عالم الكتب- القاهرة، سنة 1961.
[2] رالف بارتون بيري، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، مصدر سابق(بتصرف)
[3] أنظر:أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، مصدر نفسه، 254.

مطمئنة، و بالتالي فالأفكار و النظريات و التصورات كفرضيات مجرد وسائل أو أدوات للعمل و ليست غاية في ذاتها، و إنما الغاية مصلحة الإنسان في واقعه المعيش.

إن النزوع للبراغماتية، و طابع النفعية، و التركيز على النتائج المفيدة، كما ذكرنا في الفصل السابق ظهر أول ما ظهر في مؤلفه الضخم " مبادئ علم النفس" أين اعتبر أن الفكرة تكون صادقة مقياسا لنتائجها. و كأنما أدرك أن علم النفس يبدو موضوعا هزيلا أمام مشكلات الفلسفة و الدين[1]، فتركيزه على الدراسات العلمية و إجراء التجارب في علم النفس لم يكن فتركيزه على الدراسات العلمية و إجراء التجارب في علم النفس لم يكن إلا محاولة هادفة لتأكيد أن « العمليات الحسية و الحركية و الفزيولوجية لها تأثير كبير جدا على تطور العقل »[2]. كما صرح بذلك وليام جيمس، و هي جهود عاكسة لثقة جيمس بإرادة الإنسان وإمكاناته على التطور و التقدم، و عاكسة لاحترام هذا الكائن المقدس في فكره، لقد آمن كإنسان لديه رسالة سامية ينبغي إيصالها «بسبب أن الجنس البشري يحتاج إلى رسالتيه»[3] كما قال، لذلك لم يأبه بالجانب الفني الشكلي لأفكاره بقدر ما كان متلهفا لكيفية وضع أفكاره الخاصة على محك الاختيار الاجتماعي لرواجها و انتشارها ليس كحركة فكرية، و إنما كأسلوب و فن لممارسة الحياة، لهذا نجده في محاضراته التي ألقاها بين 1905-1906والتي مهد فيها بإغراء الناس بأهمية الفلسفة و مدحها، باعتبارها مجالا لممارسة التفكير التحليلي،و تنمية الروح النقدي لدى الأفراد، ميدانا لتنمية الذكاء و تطويره و القدرة على الاستخدام و التحكم في مختلف ملكاته العقلية، فهي انجح وسيلة للتطور العقلي. لهذا فالرأي بأنها غير تقدمية رأيا متطرفا، و القول بالتعارض القائم بين الفلسفة و العلم رأيا غير منصفا، فكل منهما امتدادا لعبقرية الإنسان و قدرته على التفكير بكل وسيلة في حوزته،ومن هنا اعتبر أفضل فلسفة هي التي تلقي بنفسها في أحضان الجمهور، و تكون قضاياها في متناول العامة.

كما يمكن الإشارة كذلك أن وليام جيمس قد تأثر بفلسفة **شارل رينوفييه** لدرجة الالتحام الروحي بحديثه عن حرية الإرادة، التي وجد فيها متنفسا عميقا، و عزاء جميلا لجراحات

[1] محمد فتحي الشنيطي، في الفلسفة الحديثة و المعاصرة، مرجع سابق ص88،90.(بتصرف)
[2] وليام جيمس، أحاديث للمعلمين و المتعلمين في علم النفس، مصدر سابق، 104.
[3] رالف بارتون بيري، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، مصدر سابق،268.

نفسه بعد إصابته بالانهيار العصبي، من هنا عقد العزم على الاعتقاد بحرية الإرادة،الاعتقاد المحترم، بقابلية الإنسان للتطور و التغيير، " و بدت له الفلسفات المغلقة التي تفرض على الفكر قيود الإلزام و الجبر فلسفات تثقل علينا عبء الحياة، و تساءل ألا ينبغي أن تكون الحرية عنوانا على الفكر الواعي، و النفس المتفتحة، و بشارة للتقدم في جميع ميادين الحياة؟ بهذه الومضات زالت عقدة- جيمس- "العليل" و انطلقت حيويته، و أشرق فكره مشخصا في آرائه الفلسفية في علم النفس، و نزعته الإنسانية في الفلسفة، و كان ذلك الجهد الرائع الذي لم يتوانى في بذله طول حياته من أجل إعلاء حياة الإنسان و تبيان طبيعة الواقع"[1]، ذلك أن الكمال الإنساني معناه القدرة على السيطرة على البيئة، ولكن البيئة ستحتاج دواما إلى المزيد من القوى الفكرية و الأقل من القوة الحيوانية المجردة، ولهذا نجد جيمس يدعوا طلابه إلى إطلاق سراح الجهاز الفكري و العملي ليعمل حسب سجيته حرا طليقا، لكي يكون المردود الذي سيؤدي مضاعف المنفعة[2]، هذا وقد آمن كانط بضرورة احترام الإنسان و الاعتراف الجازم بقدراته الداعية للإعجاب دون تفرقة بين خاص و عام،فمعترك الحياة رحب للتعبير عن مكامن الطاقة البشرية، لهذا دافع عن إرادة الإنسان الحرة[3].

هذا هو سر التحول من علم النفس للفلسفة فرغم ارتكازه على الدراسات التجريبية إلا أن تفكيره الواسع جعله سرعان ما سئم التطبيقات من المخبر، و أحس أنه عمل لا يلاءم مزاجه، فقد أدرك أن موضوع علم النفس يبدو محدودا سطحيا أمام مشكلات الفلسفة والدين، عرف أن الحديث عن الشعور و عن النفس البشرية و هدفها في الاستقرار و نبذ القلق، و التوتر و الانفعال،وميول هذه النفس الإنسانية للإعجاب و الاحترام، وجلب الرضا والتقدير الذاتي ناهيك عن قدرات وطاقات الإنسان على الخلق والإبداع بفضل قفزة التخيل والذكاء، هذه الموضوعات الحديث عنها في إطار تجريبي معملي يجعلها أقرب للنظرة الآلية والفهم الميكانيكي منها للتفسير الدينامي العميق، من هنا أحس بإلحاح على ضرورة إخراج موضوعات السيكولوجيا من دائرة التجريب الضيقة لفضاء التأملات والتحليلات

[1] محمد فتحي الشنيطي، في الفلسفة الحديثة و المعاصرة، مرجع سابق، ص89.
[2] أنظر: رالف بارتون بيري، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، مصدر سابق270.
[3] أنظر: محمد فتحي الشنيطي، في الفلسفة الحديثة و المعاصرة، مرجع نفسه، 92.

الفلسفية والدينية. إن مضمون هذا التحول والتوسع في تفسير الحياة النفسية مؤشر نزعة إنسانية.

قد نجد في تأملاته الفلسفية تطرق للحديث عن طبيعة الله ووجوده وعلاقة الإنسان به وخلود النفس، وحرية الإرادة وقيم الحياة، فهي أبرز خاصية لدراساته الفلسفية و إشعاعاتها بمعاني ودلالات المذهب الإنساني، فقد انطلق في معالجة هذه القضايا من نظرة تتسم أكثر ما تتسم به، بروح التجديد، والانطلاق والجدية والعملية والتواضع، لقد كان يزدري ويرفض الفلسفات التي تنأى عن الحاجات البشرية ففي مؤلفه البرجماتية، صرح بأن الفلسفة بالنسبة له هذا الميدان البالغ الأهمية " ليست مسألة فنية اصطلاحية، وإنما هي-على نحو ما- شعورنا الأبكم الصموت بماذا تعني بكل أمانة وعمق".[1]موضحا المفارقة بأن الفلسفة هي أسمى المساعي الإنسانية، و هي أشدها تفاهة و إهمالا في آن. فالفيلسوف يضطلع برسالة إنسانية عظيمة، باعتبارها ميكانيزم لتطوير قدرات الإنسان و إمكاناته العقلية والوجدانية فهي توسع مداركه الفكرية، و تحث روحه النقدي، و تبعث قدرته على الإيهام.

إن تقييم جيمس للفلسفة لا ينهض على أساس النظر للتراكم المعرفي الذي يشهده صراع المذاهب و تفرعها و نمائها، و إنما يأخذ في الاعتبار الآثار العملية و النتائج الجوهرية التي تنمي في الإنسان، بفعل تأثير الفلسفة في شخصيته، هذا التطبيق للمنهج البراغماتي غرضه تقييم وقياس مدى ما قدمت الفلسفة للإنسان من منافع، لذا اعتبر جيمس تاريخ الفلسفة ليس تاريخ مذاهب و نظريات وانساق متضاربة و مواقف متعارضة، لأن هذه النظرة سطحية وصفية ساذجة، فالنظرة العميقة و المنهج البراغماتي يوضحا أن" تاريخ الفلسفة تصادم معين لأمزجة إنسانية على حد تعبيره، إنه مرآة عاكسة لتجارب أولئك الفلاسفة، وللصفحات المشرقة من تاريخ تجاربهم و خبراتهم و سيرهم الذاتية، إنها انطباع لأمزجتهم و آرائهم وشخصياتهم[2] "، و على ضوء هذه المقاربة السيكولوجية يفسر جيمس نزعة الخلاف والاختلاف في الفلسفة، كانعكاس لروح العناد لدى الفلاسفة، مما أدى للتصادم و الصراع المذهبي و الانغلاق و التحزب، و التناقض في الآراء، و النظريات الفلسفية، كل ذلك ليس

[1] محمد فتحي الشنيطي، في الفلسفة الحديثة و المعاصرة، مرجع سابق، ص 90.
[2] - وليام جيمس، البراغماتية، ت: محمد علي العريان، منتدى العقلانيين العرب، المركز القومي للترجمة ص

إلا إسقاطات لأمزجة مختلفة، مهدت لتأسيس" وجهة نظر في الكون أكثر انسياق مع العاطفة أو أكثر قسوة"[1]. كما وصفها في مؤلفه البرجماتية.

مهما تكن وجهة هذه المذاهب، و تناقضاتها و مهما تكن هوة الاختلاف و الصراع القائمة بينها، فإنها تبقى في نقطة مشتركة، و هي التقليل من قيمة الإنسان، و الاستخفاف بأهمية الحياة، فالمذاهب المثالية تتجه لتعظيم المطلق و تصغير الإنسان، و المذاهب المادية ألهت الطبيعة و احتقرت الإنسان، فموقف جيمس من هذه القضية موقفا معتدلا قائم على أسس علمية، فهو ينطلق من الإقرار بوجود العالم قبل وجود الإنسان، فوجود الطبيعة وإحكام نظامها وسن قوانينها ليس وقفا على إرادة الإنسان، فقد وجد الإنسان و هو مستمر في الوجود إلى حين بعده، وبالتالي فليس وجود العالم بنظامه متوقف على قدراته، بل لأن كل ما يسعى إليه الإنسان هو معرفة أسرار هذا الكون واكتشاف قوانينه و تسخيرها.

فالبرجماتية عند جيمس تضع الإنسان محور اهتماماتها الفلسفية و مدار قضايا و أبحاثها محاولة تغيير وجهة النظر من الاهتمام بالعالم المادي و الكون إلى الاهتمام بالإنسان ومشكلاته، و في هذه النقطة تلتقي البرجماتية مع الفلسفات الوجودية في اهتماماها الدءوب بالإنسان، باعتباره محور الوجود و الكون ككل،و هي ما تسمى الآن باختصار النزعة الإنسانية"[2].

هذا ويمكن الإشارة إلى أن الميزة الأساسية في النزعة البرجماتية التي أسسها "بيرس" في نظر" جيمس" كونها تلقي أضواء جديدة على المشكلات الفلسفية الرئيسية و تقدم لها الحلول إلى حد كبير، وعلى سبيل المثال موقفه من النظرة الواحدية و النظرة التعددية، وخاصة أن وليام جيمس كان يعترض على النزعة الواحدية ونقصد بها واحدية أتباع"هيجل" من الفلاسفة المعاصرين من أمثال" برادلي " و" رويس" و بالرغم من اختلاف هؤلاء الفلاسفة عن هيجل وعن بعضهم البعض فقد كانوا يتفقون على إقامة "الهوية" بين الواقع وبين كائن روحي أي ما يسمى ب"المطلق" the Absolate[3].

[1] أنظر: وليام جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص20.
[2] وليام جيمس، البرجماتية ،مصدر سابق، ص22.(بتصرف).
[3] أنظر:العلم و الدين في الفلسفة المعاصرة،إميلبوترو، ترجمة، أحمد فؤاد الاهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973،ص239.

هذه الأخيرة أي النزعة الواحدية و ما يترتب عليها من نتائج أخلاقية و ميتافيزيقية تثير قدرا كبيرا من النفور في عقل "وليام جيمس" حيث كان التنوع الهائل الذي يتبدى عليه الكون في مظاهره الكثيرة المتعددة أمرا تبتهج له نفس "جيمس" و ينشرح له صدره[1]، و لم يكن يرحب باستبعاد أن جيمس كان يعارض من الوجهة العقلية كل تصور للواقع يجعله منفصلا عن التجربة الفعلية و مع ذلك ف إن جيمس لا يفتقر إلى الشعور بالتعاطف مع" التطلعات الروحية" التي وضعت " المثالية المطلقة"من أجل إشباعها و الاستجابة لها، بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا التعاطف فيقول « إن الاعتقاد في المطلق" أمر تبرره تلك الأشواق و التطلعات الروحية»[2]

[1] أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، فؤاد كامل، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1993، ص95.(بتصرف).
[2] العلم و الدين في الفلسفة المعاصرة،إميلبوترو،مرجع سابق 270.

## المبحث الثاني: الحقيقة و مفهومها عند وليام جيمس:

### -1: المفهوم البراغماتي للحقيقة.

### المفهوم الاصطلاحي:

إن الهدف الحقيقي للبراغماتية هو السعي إلى إيجاد معنى جديد لكلمة الحقيقة يختلف عن المعنى الذي ارتبطتبه خلال تاريخ الفكر الإنساني بالثبات واستحالة التبدل، معنًى أكثر ملائمة لروح التطور والتغير، التي سادت الاتجاهات العلمية والفلسفية آنذاك.

من هنا أراد البراغماتي كما سنرى أن يقنع الباحثين، بأن يبحثوا عن صفة أخرى للحقيقة ترتبط بالفعل والعمل والنجاح،« فالأصح هو الأصلح دائما، أي هو الأكثر نجاحا،والحقيقة هي ما يصلح فحسب، ومعيارها هو النجاح العملي، أو ما يؤدي إلى نتائج عملية»[1]، ولكي نستطيع أن نقف على كل هذه المعاني علينا أن نتعرض لنقطة البداية للبراغماتية والقوة الدافعة لهذا المذهب، حتى يتضح لنا كيف كانت رؤيتهم عن الحقيقة.

مما سبق يمكن القول أن البراغماتية قد أقرت قاعدة لجميع الناس الذين يؤمنون بفكرها،هي مقياس الحق ومقياس القيم كلها، هذه القاعدة تقوم:« إن الفكر حق أو مبدأ حق متى تحول عند معتنقه إلى سلوك ناجح في حياته»[2]، وبعبارة أخرى إن الحق لم يعد غاية في ذاته، وإنما أصبح وسيلة لتحقيق أكبر قدر من المنفعة العملية كما أصبح مقياس الحكم،هنا لا يقوم في مطابقة هذه الحقائق لموضوعاتها، بل فيما يحققه من منفعة للإنسان،وهكذا سخر العقل الفلسفة البراغماتية لتفسير أسباب الحياة وإشباع الرغبات، ولم يعد معنيا بالبحث عن حقائق الأشياء، ووضع المبادئ المطلقة والمثل العليا ، كما يتبين لنا أن الحقيقة لا ينبغي النظر إليها من منظور الحضور، بل من منظار الاختفاء والتجلي والاحتجاب والانكشاف، فالحقيقة تخفي خداعها بإظهاره في الإستعارة والمجاز[3].

---

[1]- أمل مبروك، مفهوم الحقيقة، دراسة فلسفية، الدار المصرية،السعودية، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، د(ط)، ص28-29.
[2]- سالم يافوت، المناجي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1999،ص27.
[3]أنظر:سالم يافوت، المناجي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر، مرجع نفسه، 32.

نتساءل من الناحية البراغماتية في حالة تسليمنا لصحة فكرة المعتقد فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة الواقعية لأي امرئ ؟ كيف تتحقق الحقيقة؟وباختصار ماهي القيمة الفورية للحق إختباريا وتجريبا وممارسة؟

للإجابة على ذلك براغماتيا تكمن في أن الأفكار الصحيحة هي التي تقيم الدليل عليها وعلى صحتها، ولفعل ذلك لابد من أدوات تقوم على كل ماهو تجريبي وملموس ومحسوس، «البحث عن الحقيقة ليس غاية بل وسيلة لبلوغ حقائق تؤدي إلى ضروب من السعادة للإنسان. فالعملية بالنسبة للأفكار مصدر صحتها نسبيا، بمعنى أن ماهو صحيح في وقته وبالتالي نقول إنها مفيدة لأنها صحيحة، أو أنها صحيحة لأنها مفيدة».[1]

وللحقيقة معنى عام يندرج تحت معنيين: "الأول يدل على الوجود والشيء والموضوع والكائن بإطلاق ويدل على الثبات في دوره الأساسي الضروري في مقابل المتغير والغير الحقيقي والباطن والمتوهم والظاهر والسراب، أما فيما يخص المعنى الثاني فيدل على توافق القول مع الحقيقة والوجود أو بصفة أكثر حداثة هي تطابق المعرفة مع موضوع المعرفة في مقابل الخطأ والغلط والإبهام"[2]، إن المعنى الأول يشير إلى جوهر وماهية الشيء وهو بهذا يفيد حقيقة، ومن هذه الناحية فمدلولها هو ما يقصد به في اللغة العربية خالص الأمر ومحض في حين يدل المعنى الثاني على فعل المطابقة و الاتفاق أي اتفاق وتطابق المعرفة مع موضوعاتها بحيث تكون الأفكار متفقة مع الموضوعات التي تمثلها فالحقيقة غير مطلقة وهي أحسن ما في حوزة الإنسانية من المعارف المجردة، لأنها ثمرة تفاعل العقل الإنساني مع البيئة الموجودة فيها، أو ثمرة إعادة تجديد الخبرات، و تشّكل طبقا لخبرات الملاحظة و البيئة المحيطة التي يتم فيها ممارسة الخبرات و توجد الحقيقة طبقا لمستوى قيم الإنسان بوظيفته من خلال استعماله خبراته الاجتماعية و الطرق العلمية والنظريات الشخصية ليعطي الخبرات تأثير أفضل ليكون عمليا له تطبيقات نافعة للأفراد أو بيئتهم[3].

[1]- محمد جديدي، فلسفة الخبرة، مرجع سابق، ص188-189.
[2]- محمد سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأروبية، مرجع سابق،ص46.
[3]-أنظر: نعيم حبيب، الفلسفة و تطبيقاتها التربوية، مرجع سابق،ص199.

فالحقيقة ليست ثابتة، وليست نظاما كاملا، بل الحقيقة عملية جارية في تغير مستمر.

**2- تصور الحقيقة عند وليام جيمس:**

يمكن أن نقول أن الحقيقة عند وليام جيمس هي نوعين لأن موضوع التصور إما أن يكون شيئا خارجيا أو منهاجا عمليا لإرضاء حاجة نفسية.

"الحالة الأولى: الفكرة الحقة عن موضوع ما هي التي تقود أفعالنا نحو هذا الموضوع.

الحالة الثانية: القضية الحقة هي التي يستنتج التسليم بها نتائج مرضية أي محققة لمطالبنا. و نلاحظ أنه في الحالتين ليست الحقيقة تصورا لمطلبنا كما يعتقد عامة الناس، ولكنها التصور الذي يؤدي بنا إلى الإحساس بشيء أو إلى تحقيق غرض، وفي الحالتين يكون الخطأ هو الفشل في حدوث الإحساس أو تحقيق الغرض"[1].

وعلى الرغم مابين "بيرس" و "جيمس" من خلاف حول تصور الحقيقة إلا أن هذا الأخير وجد في مقال "بيرس"« كيفنجعل أفكارنا واضحة» ما يستند إليه من طرحه لمناهضة التصور العقلاني للحقيقة الذي يعد الحقيقة غاية في ذاتها فماذا أضافت براغماتية "جيمس" إلى مسألة الحقيقة؟ ويجيبنا جيمس على هذا التساؤل قائلا: «إن الشيء الذي تضيفه البراغماتية فيما هو امتلاك وامتحان الأفكار الصحيحة، فالأفكار الصحيحة هي ما يتسنى لنا أن نقيم عليها الدليل فنمثلها وندفع بمشروعيتها وصدقها وصحتها،فنعززها،نوثقها، نؤديها، و نحققها، والأفكار الباطلة هي التي لا نستطيع فعل ذلك بالنسبة لها»[2]، إن تحديد جيمس للإضافة التي جاءت بها البراغماتية في هذا الجانب العملي المقصود به هو النتائج التي سبق "لبيرس" أن أشار إليها، لكنها مع "جيمس" تأخذ بعدا آخر، فزيادة على نتائج تحقق المباشر التي تتمثل في السلوك الظاهر،المنافع،المادية،فإضافة "جيمس" تمحورت حول الاعتقاد وهي ذات وثيقة بالحقيقة ارتكزت على أسس سيكولوجية على عكس "بيرس" تحول النقاش من ميدان الفلسفة إلى علم النفس فغدت البراغماتية حين بدا يصوغ جيمس" الحقيقة .

[1] مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق ص59.
[2] البرغماتية، وليام جيمس، مصدر سابق،ص 122.

بناءا على هذا التلازم بين الحقيقي والنافع يذهب "جيمس" إلى القول بأن الحقيقة من صنع الإنسان فهي عنده تصنعه تماما، يرى جيمس أن مقياس أو معيار الحقيقة هو نجاح الفكرة عمليا فالفكرة تكون صادقة أو ناجحة متى حققت آثار أو نتائج عملية، فالبراغماتية إذن نظرية في الصدق والصدق عنده مرتبط بالنجاح أو ما يترجم إلى السلوك الناجح أو النافع وفي هذا الصدد يقول "وليام جيمس" : («أن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على أن نربطها بأجزاء أخرى من خبرتنا بطريقة توحي إلى سلوك ناجح في الحياة»، ومن أقواله أيضا« الفكرة صادقة إذا كانت تعمل»، أيضا « الفكرة صادقة إذا كانت لها نتائج عملية تقودنا إلى الموضوع المقصود لها إدراكه والقضية صادقة إذا كانت تعطينا أكبر كما من الرضا لما في ذلك من إرضاء الذوق»)[1]، ومثل هذا يقال في الأخلاق، فالفعل الإنساني فاضل متى حقق نفعا في حياة الإنسان، وهكذا أصبح محك أو مقياس الصواب والقيمة المنصرفة في دنيا الواقع، على أي حال كل هذه العبارات تلتقي في فكرة النجاح العملي كتعريف للحقيقة، هكذا تبدو البراغماتية كما لو كانت توسعا في التجربة التاريخية مع فارق أساسي هو أنها لا تركز عنايتها في ظواهر سابقة بل في ظواهر لاحقة، أي لا تركز عنايتها في السوابق بل في مكممات العمل وهذا التغير في وجهة النظر يكاد يكون ثوريا في نتائجه[2]. تعريفا للحقيقة مبينا بما فيه الكفاية القضية تكون حقة إذا كان تصديقنا لها يؤتي نتائج مرضية، أي ملبية لجميع حاجات الفرد الإنساني بسيطة كانت أو مركبة، إن التعريف الأول يحيلنا إلى إدراك موضوع من الموضوعات باعتباره المرحلة الأخيرة من العملية المسماة بالحقيقة، أما التعريف الثاني فمستقل مبدئيا عن كل صلة بالإدراك وهو يحيلنا بالأحرى إلى فكرة اختيار، أو فكرة خطة عمل ناجح، والخطأ هو الإخفاق والحقيقة في مظهرها الثاني تكون قريبة غاية القرب من الاعتقاد الحيوي كما يفهمه "نيومان" لكن "جيمس" أخذ فيما يبدو عن أبيه بالذات "هنري جيمس" فكرة أن الحق ليس حقا إلا بقدر ما يخدم الخير وأن الحقيقة الحيوية لا يمكن أن تنتقل أبدا كما هي من ذهن إلى آخر إذ أن الحياة هي وحدها الحكم في قيمة الحقائق، «إن الأفكار الصحيحة هي التي يمكننا أن نتحقق منها، والأفكار التي لا يمكننا أن نفعل ذلك بالنسبة إلينا هي أفكار فاسدة، هذا هو الفرق

[1] محمود فهمي زيدان، وليام جيمس، مرجع سابق، 47.
[2] - حربي عباس عطيتو، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص188.(بتصرف).

العملي الموجود في نظرنا بالنسبة إلى امتلاك الأفكار الصحيحة، وهذا إذ ما يجب أن يقصد بالحقيقة لأن هذا هو كل ما نعرفه»[1]، بهذا الاسم تلك هي النظرية التي التزمت بالدفاع عنها، إن صدق فكرة من الفكر ليس خاصية توجد محايدة لها وتبقى عديمة النشاط، إن الصدق حادثة تقع من أجل فكرة من الفكر فتصير هذه صادقة، وتصبح صادقة في بعض الحوادث، أي أنها تكتسب صدقها بعمل ما تحققه بالعمل الذي يتمثل في أن تحقق نفسها بنفسها، والذي هدفه والنتيجة منه التحقق منها

إن الأفكار الصحيحة هي لا وجود لشيء مطلق أو أزلي عن الصدق على الإطلاق فهو ليس كشف مباشر لحقيقة واقعية معطاة مستقلة عن ذهن الفرد العارف وليس تطابقا معهاالصدق ليس سوى علاقة بين أفكارنا البشرية ويقينية تجاربنا، ويقول "جيمس": «إن النظرية التقليدية في الصدق هي اتفاق مع الواقع لكنه يتساءل بأي معنى يمكن أن يقال أن الأفكار صادقة تتفق مع الواقع»[2] .

لا يمكن أن نفرض على الحقيقة مفهوماتنا وهو ضد فكرة وجود حقيقة واحدة وعقل مطلق والفكرة الصادقة ليست الفكرة المطابقة للواقع ولكنها التي تؤدي بنا مباشرة أمام الموضوع المراد معرفته، والحقيقة هي ما يؤدي بنا أيضا إلى نتائج مرضية ترضي حاجات الفرد، والحق لا يكون حقا إلا إذا كان في خدمة الخير، ومن ثم تكون الحقيقة ضربا من التحقق، أو الامتحان ليتوقف صدقها على اختبارها ونتائجها وتكون الحقيقة هي القادرة على العمل وعلى أداء وظيفة، وتكون الحقيقة عند "جيمس" اختراعا لأداء عمل وليس اكتشاف كما يدعي السابقون وتصبح الفكرة حقيقة عندما تثبت التجربة أنها صالحة ومفيدة وليست المنفعة الفردية معيار صدق فكرة، لكن الفكرة الصادقة هي التي تتلاءم مع غيرها من الأفكار التي تثبت صحتها عمليا[3] .

كان "وليام جيمس" يعتقد أن معنى الأفكار تكمن في أثارها العملية فإذا لم تكن للفكرة أي فائدة عملية فلا معنى لها، وركز "جيمس" على قوة الأفكار الحقيقية في توجيه الأفراد وليس

[1]- إميل بريهة، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص372.
[2]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق،ص494.
[3]- أنظر: عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص165..

الباحثين العلميين في تناولهم للمشكلات الناجمة عن خبراتهم وتجاربهم اليومية والحقيقة في نظر "جيمس" تكمن في تلك التجارب التي تمكن الناس من التصدي وتحديات العالم الذي يعيشون فيه.[1] " وتصبح الحقيقة عند وليام جيمس عبارة عن مطابقة الأشياء لمنفعتها لا مطابقة الفكر للأشياء"[2] ، إن ما يحدد معنى الحقيقة عند "جيمس" إنما هو ما يترتب عليها من نتائج، فإذا كان من المألوف أن نقول صدق قضية ما يتقرر عندما يكافئ لإثبات الشيء المثبت ونميز فيها بين الصدق من ناحية والعمليات الموصلة إليه من ناحية أخرى.

إن الفلسفة العملية ترفض هذا التميز وتذهب على أننا نعرف أي موضوع معرفة حقيقية حينما نقوم بالفعل بتحقيق تلك العمليات التي من شأنها أن تنتقل بنا من تجربتنا الراهنة إلى تجربة أخرى جديدة تأتي بنا مباشرة أمام الموضوع المراد معرفته، فالحقيقة ليست صورة مطابقة للشيء بل هي بالأحرى فكرة تقود إلى إدراك ذلك الشيء، كذلك يعرف "جيمس" الحقيقة تعريفا آخر فيقول:« إن القضية لا تكون صحيحة أو حقيقية إلا إذا كان قبولنا لها ينتهي بنا إلى نتائج مرضية»[3]، وتمتحن الفكرة عند "جيمس" بتطبيقها في دنيا الواقع ، أما مايسمى بالاختيار أو الامتحان العملي يصبح الخطأ ضربا من الفشل وتصبح الحقيقة نوعا من الاعتقاد الحيوي، بمعنى أن الحقيقة هي التحقق كما هو الحال في العلوم، ويذهب "جيمس" «إلى أننا لا نستطيع مطلقا أن نتجاوز نطاق التجربة ، فليس هناك موضوع لأن نتحدث عن حقيقة مطلقة وعن شيء في ذاته، وما دامت الحقيقة هي التحقق فإن الأفكار الحقيقية إنما هي عبارة عن أفكار موجهة أو فروض ناجحة أو عمليات مثمرة»[4]، كانت عناية جيمس بمعنى الحق فمادام الحق حدا وله تبعا لذلك معنى فهو تطبيق مشروع للمنهج البراغماتي، وهذا المنهج إنما يخدم الحق بأن يوضع معناه دون أن يشتغل بالنظر في صدق الأحكام الجزئية، فالبراغماتية عند "جيمس" مزاج عقلي وهي كذلك نظرية في طبيعة

[1]-أنظر: حسن جميل طه، الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية، مرجع سابق، ص93.
[2]- نعيم حبيب جعنيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية ، مرجع سابق، ص191.
[3]محمود فهمي زيدان، وليام جيمس، مرجع سابق، ص58.
[4]- ابراهيم ابراهيم ياسين، مدخل إلى الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص330.

الأفكار والحق، وأخيرا فهي "نظرية عن الحقيقة أي أنها منهج الحياة والسلوك ومذهب الحق والحقيقة".[1]

[1] فؤاد الأهواني ، نوابغ الفكر الغربي، مصدر سابق، ص94.

**المبحث الثالث:التجربة الدينية عند وليام جيمس كفلسفة برجماتية:**

إنه لمن الأجدر أن نبدأ موضوعنا هذا بطرح بعض التساؤلات و التي تدور معظمها حول الخصائص الجوهرية للأديان، فما الموقف الذي يجب على كل مفكر اتخاذه في هذا الشأن؟ باعتبار أن وليام جيمس كان يرى أن الأديان تتجلى في مظهرين أحدهما خارجي والآخر باطني، إلا أنه يعتبر أن المظهر الباطني هو الرئيسي " لا يهمنا كثيرا أن تكون الأديان قد ظهرت من الناحية التاريخية في هيئة مؤسسات قبل أن تنمو إلى درجة الحياة الشخصية"[1] ولهذا نجد أن الإنسان يرجع العلة في وجود هذه المؤسسات إلى ابتداع العباقرة الدينيين.

إن وليام جيمس باعتباره عالم نفساني بالدرجة الأولى لم يدرس الظواهر الدينية من ناحية واحدة هي ناحية علم النفس، لأنه كان مختصا ورائدا كما سبق وأن ذكرنا، بل لأنه كان يرى في الدين الشخصي أساس الدين، ولما نقول علم النفس بالنسبة لجيمس فإننا نتحدث بلا شك عن الشعور، لأن ما يعطى في نظر علم النفس فهو دائما في مجال الشعور بتضمن حركة متصلة متعددة ومختلفة، وهذه هي الصورة الحقيقية الوحيدة التي يجب علينا أن نبلغ بها الظواهر الدينية، لكن ماهو المبدأ المؤثر في اختيار نشاط الشعور؟ إنه الغرض الشامل pur pose total لهذا الشعور، وبعبارة؟ أخرى المبدأ هو الفائدة. فما هو مفيد وناجح ونافع هو "الحق" ويتوسع جيمس فيما هو مفيد أو ناجح أو نافع:

أ- ففي ميدان التجربة الفيزيائية المفيد هو ما يمكن التنبؤ من العمل و من التأثير و من الإنتاج.

ب- و في ميدان التجربة النفسية الإنسانية أو العقلية هو ما هو مفيد للفكر، و ما يزودنا بالشعور بالمعقولية، و هو شعور بالراحة[2].

ج- و في ميدان التجربة الدينية يكون الاعتقاد حقا إذا نجح روحيا، أعني إذا حقق للنفس الطمأنينة و أعاننا على تحمل تجارب الحياة، يقول وليام جيمس:" التطابق بالمعنى الواسع

[1] حربي عباس عطيتو، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص197.
[2] أنظر: فؤاد الأهواني ، نوابغ الفكر الغربي، مصدر سابق،ص95.

للكلمة مع الواقع لا يمكن أن يكون غير واحد من اثنين إما الوصول مباشرة إلى الواقع وفي قربه، أو هو الاتصال الفعلي بالوقائع ابتغاء مزيد من التأثير فيه هو نفسه أو في وسيط،تأثير أقوى من ما تكون عليه الحالة لو كان هناك خلاف، و أضيف أن المقصود هو الفعل في الميدان العقلي و العملي على السواء، و غالبا ما يكون هذا الاتفاق هو مجرد هذه الواقعة السلبية ألا و هي ألا يصدر عن هذا الدافع شيء يناقض أفكارنا و يعترض طريقنا الذي يفضي بنا إلى نقطة أخرى. كلا! ليس المهم هو إعطاء نسخة عن واقع و إن ذلك أحد الطرق المهمة جدا للاتفاق مع الانطباق بل المهم هو أن نجد في الفكرة دليلا للتحرك في وسط الواقع، إن الفكرة إذا أعانتنا على أن تكون – عقليا أو عمليا – على علاقة إما بالواقع أو بأسباب الواقع، و إذا اكتفت حياتنا بالفعل مع كل جهاز الواقع بدلا من تعويق مسيرتنا بكل ألوان المضايقات، هنالك يكون انطباق و اتفاق، فيه تتوفر بدرجة كافية الشروط التي تقتضيها الحقيقة، و ستكون هذه الفكرة صحيحة وحقيقية تجاه الواقع موضوع النظر...إن علينا أن نعني لا بالحقيقة في صيغة المفرد بل بالحقائق في صيغة الجمع وأننعني ببعض الأفكار الموجهة و الأخص هو أن الحق يقوم فيم هو مفيد (نافع) للفكر".[1]

نرى أن " وليام جيمس " قبل أن يتطرق بدراسة التجربة الدينية نجد أن له تجربة ميدانية في الفيزياء و مفادها أنها تتنبأ بالظواهر الفيزيائية و تسيطر عليها حيث تكشف هذه العملية علىالعمل المنتج أي التأثير على الأشياء ثم الاستنتاج. أما فيما يخص الميدانالثاني فيتمثل في التجربة العقلية والباطنية المفيد في هذا الميدان هو القدرة على تزويد الفكر أو الشعور بالطمأنينةوالراحة و السلام. أما بما يخص التجربة الدينية المفيد هو الشعور بالسكينة والراحة و السلام و الاطمئنان هو إحساس يتجسد فينا بعد أن نكون قد سلكنا طريقا معينا يكشف لنا أننا تجاوزنا ذواتنا و أصبحنا نتمتع بهذا التفوق و هذه هي النتيجة في حياتنا اليومية،[2] و اعتمد جيمس بهذا المجال أن التجربة الدينية تتجاوز النوع المألوف بين التجارب الحسية التي تعود عليها في الحياة لكنها – حسب رأيه – تمثل التجربة. يرى جيمس في مقاله - المبكر- " الفعل المنعكس و مذهب التأليه" الذي أعيد نشره في كتاب

[1] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، 448.
[2] أنظر عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية، مرجع نفسه، 449.

"إرادة الإعتقاد" ومقالات أخرى الذي كتبه عندما كان عالم نفس في البداية، «إن مبدأ الفعل المنعكس يبين أن لكل عملية ذهنية بشرية أصلها في انطباع داخلي لحاسة ما وانطباع خارجي في فعل عضلي»[1]. ولذلك يتصور مذهب التأليه الله على أنه شخصية توجد خارج شخصياتنا نحن، وترتبط بنا في تجاربنا الدينية وتساعدنا على أن نكيف أنفسنا مع العالم بثقة. فمذهب التأليه يرضى طبائعنا العقلية والعاطفية بطريقة لاتحتمل أن تقوم بها أي نظرية منافسة مثل المذهب المادي ومذهب وحدة الوجود أو المذهب اللاإرادي ولأننا نتكيف ونتفاعل مع العالم الخارجي عن طريق الفعل المنعكس. فمن المعقول أن نستنتج أنه من المرجع أن يكون التصور الخاص بالألوهية صادقا، ويؤكد جيمس في مقال متأخر هو "إرادة الاعتقاد" الذي أشرنا إليه سابقا "حقنا في أن نؤمن بالله حتى بدون برهان مطلق لأن المماثلات والاحتمالات تكون صالحة وجود الله ولأننا نستطيع في طريق قبول فكرة الله أن نثري حياتنا ونصل إلى الإلهام في سلوكنا الفعال الذي ينقذنا لولا قبول هذه الفكرة"[2]

لا يحاول جيمس إثبات وجود الله ولكنه يناقش الواقع مباشرة، والتجربة الدينية واقع ولا توجد تجربة واحدة فالتجارب الدينية جوهرها العاطفة الدينية وليست الطقوس، وأن الشعور الديني باطن بالمشاركة في موجود أعظم، و هو الشعور بالانسجام والسلام، وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية تبدأ بالمجرد والعلم، ولكن الدين واقعة حسية نعيشها،والله موجود لأن غرض وجوده نافع ولكن المشكلة هي مشكلة التوفيق بين فكرة وجود الله وبين غيرها من الأفكار ذات التأثير، والله من التجربة الدينية هو أنت فهو متناه ومن ثمة لا يحيط بكل شيء فيما يتصل بالدين يرى وليام جيمس أن الإنسان كانت له،وستكون له دائما تجربة دينية، ذلك أن الإنسان شعر من حوله بحضور تجربة أخرى فردية من تجربته هو، ومتعاطفة مع أمانيه ومطامحه، وتناضل معه ضد الشر وتعمل في صالح الخير، وتشيع في نفسه السلوى لهذا يفوض أمره ويطلب العفو من هذه التجربة أن تتجاوز النوع المألوف من التجارب، وهي التجارب الحسية ومعطياتها، لكنها مع ذلك تجربة ومادامت تجربة فيحق لنا أن نفسرها مسترشدين في ذلك بنفس المنهج الذي

[1] فريدة غيوة، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 105.
[2]- محمد سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوروبية، مرجع سابق، ص47.

اتبعناه،أي فكرة الفائدة أو المنفعة العملية المترتبة عليها فإن كانت تقدم لنفوسنا الطمأنينة والسعادة والسلام، فينبغي أن نعدها صحيحة تبعا لمعيار الحقيقة الذي فسرنا القول فيه سابقا وأسلم طريقة لتفسير هذه التجربة بحسب المنهج البراغماتي هي أن نفترض أنها آية من شعور أو وعي أو شخص آخر مماثل لشعورنا ونصادق ذلك ومستعد لنجدتنا، ومذهب المؤهلة هو الأنسب لكن المقصود أي تأليه[1].

إن وليام جيمس يرى أن "التأليه الذي يتصور مفيد لأنه إذا كان الله قادرا على أن يفعل ما يشاء، وطاب له أن يخلق العالم ليعيش فيه، فمن المستحيل أن نتصوره موجودا أخلاقيا وصديقا، ولن يستحق إسم الله من ليس من الخير بحيث يخلق عالما كعالمنا هذا".[2]وقد تكون الأفكار اللاهوتية صالحة، ومفيدة للغاية إما إذا كانت صادقة بالفعل، فإذا كان أمر لا يمكن تقريره إلا بالنظر إلى علاقتها بالحقائق الأخرى التي يجب التسليم بها أيضا ويبدو أن "وليام جيمس" يعارض بصفة خاصة في كتابه المذهب البراغماتي" إرادة الاعتقاد "، فالشكاك المتطرفين مثل "هكسليكلفورد" «الذين أصرا على أن الشخص يجب أن يبقى في شك كامل وأن يتوسط بين نوعين لكي يربط بين الولاء العلمي بالوقائع الصلبة وبين الثقة القديمة في القيم البشرية من الأنواع الدينية»[3].

تنطبق البراغماتية لدى جيمس إلى قضية الدين من خلال مقولتين هما النفعية والارتقائية، فإذا كان الغرض الديني يؤدي إلى نتائج نافعة فإنه موجود لأنه براغماتيا ماهو نافع صحيح وما هو حقيقي موجود، تلقف "جيمس" أفكار"بيرس" البراغماتية وطورها واستخدمها أساسا للدفاع عن الإيمان الديني مما يصبغ البراغماتية بألوان دينية صارخة وقد انطلق من موضوعة "بيرس" القائلة بأن الفكر ليس إلا وسيلة تؤدي إلى الاعتقاد،ليطرح نظرية إرادة الاعتقاد، إن من غير المجدي في نظر "جيمس" الإيمان بالله،فمثل هذه المسائل لا يمكن حلها إلا بالاعتماد على الشعور فقط" أي لنا الحق الكامل أن نغامر بالإيمان بأي فرضية كانت شريطة أن تأتي لنا بنتائج مرضية فالإيمان بوجود الله

[1]- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص166.
[2]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة فلسفية، مرجع سابق، ص449.
[3]- وليام كليرايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص486.

تكفي رغبتنا في أن يكون هذا الإيمان يجلب للإنسان الراحة والطمأنينة"[1]، ولذا فإنه يلقي تبرير كامل عند البرغماتيين، وهنا تجدر الإشارة إلى مناداة "جيمس" بحق الإنسان في الإيمان اللاعقلاني بالله، لم يكن تراجعا عن النظرة العلمية إلى العالم أن الواقع الموضوعي ليس مكترث لا حتمية فيه ولا نسبية، هو مملكة الصدفة والصدفة وحدها، ان الكون المحيط بنا غير قابل للمعرفة، كما أن ما اعتدنا على اعتباره معرفة عن العالم الخارجي فهو يفتقد أي مصدر أو محتوى موضوعي. المعتقد الديني صادق طالما ترتبت عليه آثار ونتائج محلية في حياتنا اليومية وحالات القلق الديني، والخلقي تقتضي الحكمة اعتناق أحد الرأيين المتقابلين حتى ولو لم يجد دليلا منطقيا يشهد بصدقه كما يقول "جيمس" في كتابه إرادة الاعتقاد وهكذا أصبح صدق المعتقد مرهون بآثاره العملية متوقف على قيمته.[2]

[1]- تأليف جماعة أساتذة سوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، ت توفيق سلوم، دار العربي، بيروت لبنان، ط1،1989، ص628.
[2]-أنظر: إسماعيل الشرفا، موسوعة فلسفية ، مرجع سابق، ص28.

**المبحث الأول: مراحل تطور البرغماتية**

**من التأسيس إلى الطرح الجديد**

-1) المرحلة الأولى:

الواقع أن بداية المرحلة الأولى تتماها مع الأعراف الأولى لنشأة البراغماتية بشكلها الصريح الذي يعود أساسا إلى النقاشات التي دارت في النادي الميتافيزيقي(MetaphysicalClub)، إذ أن لقاءات أفراده كانت تتم بشكل غير رسمي في كمبردج(ماساشوسات ) ما بين (1870-1876)، و قد جاءت التسمية بحسب مفردة " ميتافيزيقي" التي أطلقها شارل سندرس بيرس سخرية من الميتافيزيقا، وكذا موقفا صريحا من الطروحات المثالية ليتحدد هدف النادي الميتافيزيقي في " تقليص الاختلاف و السعي بتفاؤل نحو تأصيل مشترك"[1] من خلال المناقشات التي غلب عليها الطابع العلمي و التي تمظهرت أساسا بالتجسيد الفعلي لكثير من خصائص البرغماتية.

و في ذكرياته عن المجموعة يقول بيرس بأن " شانسيرايت كان أقوى عضو في المجموعة، و أضنني كنت بعده، وكان بيننا فرانك أبوت ووليام جيمس و أخرين".[2]

لقد تجلت لقد تجلت الانشغالات المعرفية للنادي الميتافيزيقي في أعمال عديدة من بينها إسهامات شانسيرايت(1830-1875)CHanceywright بوصفه فيلسوفا و عالما اتجه نحو نقد إسهامات "هاربرت سبنسر" رغم قناعاته بالتوجه الداروينى، و على النقيض من ذلك اتجهت أعمال عضو آخر هو أولفر هولمز(1841- 1935)Oliver Holmes إلى نقد نظرية داروين تأثرا بإسهامات هاربرت سبنسر.

كما كانت إشارة نكولاس غرين(1835-1876) Nicholas Green لأعمال الفيلسوف ألكسندر باين(1818- 1903) Alexander Bain إسهاما جليلا في

[1] الأهواني أحمد فؤاد، جون دوي، مرجع سابق ص83.
[2] جديدي محمد، فلسفة الخبرة،جون ديوي نموذجا، مرجع سابق، ص25.

تفعيلمفهوم البراغماتية و تحديدا مفهومه للاعتقاد بوصفه القدرة التي تحث الإنسان على الفعل، الأمر الذي دفع بيرس إلى اعتباره واحدا من الرعيل الأول المؤسس للبراغماتية، في حين تشكل أعمال الرواد الثلاثة[1]العنوان الأساس لهذه المرحلة المعبر عنها خصوصا بالانتاجات المعرفية الفعلية، إذ الملاحظ أن التوجهات المختلفة للرواد الثلاثة لم تنف وجود تقاطعات صميمية أدت إلى بلورت رؤية فلسفية منسجمة تتأسس على الإعلاء من شأن الفعل، و هذا ما تجلى في إسهام "شارل سندرس بيرس" و اهتماماته العلمية و المنطقية الساعية لتجسيد الحلول المناسبة بعيدا عن المعطيات القبلية و التهويمات الكلامية المتأتية من المذاهب المغلقة، هذا و زيادة على رؤية وليام جيمس للدور المؤثر الذي تلعبه الأفكار والمعتقدات في الحياة العملية من منطلق ربطه بين نجاح فكرة ما و إسهامها في حل مشكلة معينة،إضافة إلى ميزة جون دوي في محاولته لاستخدام منهج العلوم في التفكير في القيم التربوية و السياسية و الجمالية وغيرها، إذ أن المعرفة في نظره أداة تستجيب لمطالب الحياة المرتبطة أساسا بتحسين الوضع الاجتماعي القائم على الاتجاه نحو الديمقراطية، كما يعود الفضل إلى جون دوي في تأسيسه لمدرسة شيكاغو(Chicago School) حينما تفرغ لتدريس طلبة الدراسات العليا، ما مكنه من تكوين حلقة فلسفية ضمت فلاسفة أمثال جورج هربرت ميد(1863- 1931) George Herbert Mead،• جيمس تافتس(1862- 1942) jamesTufts، جيمس انجل(1869-1949)jamesAngell[2]كانت النتيجة إصدار كتاب مشترك بعنوان دراسات في النظرية المنطقية Studies in Logicql Theory سنة 1903 و هو عبارة عن أحد عشرة فصلا ل"ديوي" و سبعة بأقلام زملائه وتلامذته. وقد أثارت هذه المدرسة إعجاب " جيمس" الذي دون بتاريخ 29 أكتوبر 1903 قضية تقديره " ديوي" و إعجابه الشديد بالإنجاز

[1]لقد سبقت الإشارة إلى خصوصية الطرح البراغماتي عند الرواد الثلاثة في الفصل الأول.

•جورج هاربرت ميد( 1863-1931) القطب الرابع في الفلسفة البرغماتية في إطارها التأسيسي، تقوم فلسفته البرغماتية على الأساس الإجتماعي، فالمعرفة عنده المعبر عنها بواسطة اللغة هي نتاج التفاعل داخل الحياة الاجتماعية.

للإشارة فإن البرغماتية عند ميد تزاوج بين الاتجاه الفلسفي و السلوكي من منطلق عمليتي التأثير و التأثر التي يقوم بها الإنسان في علاقته مع البيئة .

[2] محمد مهران و محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 63.(باختصار)

الفلسفي المعبر عنه في مدرسة شيكاغو،هذه الأخيرة التي استطاعت الجمع- بتعبير وليم جيمس- بين الحقيقي و الفكر الحقيقي.

- **المرحلة الثانية:**

في هذه المرحلة المؤرخة " للأبناء" أو الجيل الثاني من البراغماتتيين، بدأت معالم جديدة في الظهور متمثلة في نمط من الفلسفة بدأ يحدد تمظهراته الأولى في وسط عُرف بالسيطرة الكبيرة للفلسفة البراغماتية، و الواقع أنه ليس سببا مفصليا لذلك، بل الأمر لا يعدو كونه تراكما معرفيا أوجده بالخصوص الفلاسفة الأنجلوسكسونيون الذين هاجروا إلى الو-م-أ، ثم ألمانيا بسبب وصول النازيين إلى الحكم، هذا زيادة على مخلفات الحربين العالميتين، و كذا الانتقادات التي وجهت للبراغماتية و التي رادف البعض بينها و بين الميكافيلية و الإلحاد و إنكار القيم[1].

كما يمكن القول بأن «انحصار الدعاية الإعلامية مع وفاة وليام جيمس سنة(1910)، و كذا سندرس بيرس(1914)كانت سببا آخر، على الرغم من إشارات جون دوي و شيلرفرينارد(1864-1937) بايجابية الحالة الفلسفية للبرغماتية خصوصا في الو- م –أ»[2]

لقد ظهر التأثير الخاص لفلاسفة الوضعية المنطقية و كذا التحليل إضافة إلى بعض الفلسفات الأوروبية بشكله الواضح و الجلي بداية من سنة(1930) في ضوء الاجتهادات الفلسفية للبرغماتيين الأبناء، هذا ما يظهر من خلال أعمال "سيدني هوك"(1902-1989)Sidney Hook الذي أعطى البراغماتية بعدا اجتماعيا نتيجة تأثره بالفلسفة الماركسية ليتحول بعد ذلك إلى ناقد للشيوعية من زاوية ديمقراطية اجتماعية، علما أن فلسفة "هوك" كانت تنظر إلى الإنسان في

[1]أنظر:محمد مهران و محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، نفس المرجع، ص65.
[2]محمد جديدي، فلسفة الخبرة-جون ديوي نموذجا- مرجع سابق، ص 107.

عموميتهبأنه حالة بين حدين متناظرين: الحد الأقصى في الروعة و الشيء نفسه بالنسبة للبشاعة الأمر الذي يمكنه من أن يجعل العالم من حوله رائعا أو كريها.

كما انصب اهتمام شارل وليام موريس(1901-1907) Charles William Morris على حل إشكالات فلسفة العلوم في إطار الرغبة في تطوير نظرية بيرس في العلامات.

أما كلارنسإرفينغ لويس (1883- 1964) Clarence Irving Lewis فقد اتجه بالبحث في مرحلة أولى في المنطق الرمزي ثم في الإبستيمولوجيا و نظرية القيم العامة و كذا الفلسفات الاجتماعية، ساعيا لإعطاء بعد مفاهيمي للبرغماتية. وبشكل عام فإن الوضعية المنطقية سواء في أساسها الأول الناتج عن البرنامج المعرفي لحلقة فيينا"Vienna Circle" أو أثناء تطورها المعرفي على شاكلة طرح تحليلي قد ساهمت في إثراء البراغماتية بسبب التقارب الكبير في نظرية المعرفة المعتمدة أساسا على فكرة التحقق العلمي.

على الرغم من الاختلافات التي أقرها شارل موريس في إشتغالاته المعرفية الأولى بين البرغماتية و الوضعية المنطقية، باعتماد الأولى على ما هو بيولوجي واجتماعي و تركيز الثانية على ما هو منطقي و فردي، و نشير أيضا إلى الطرح الوضعي المنطقي في اقترابه من البرغماتية في أعمال رودولف كارناب (1891-1970)Rudolf Carnap الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر سنة1935، و قد عمد في فلسفته إلى الاهتمام بالمعنى داخل سياق تداولي مع تأكيده على حالات خاصة تكون فيها الكلمة لفظا من دون أن تلبس معنى، أو يتغير معناها عبر تطورها التاريخي، أو تفقد معناها دون أن تستحوذ على معنى جديد،[1]و كتفسير لموقف كارناب يقول مورتون وايت-Morton White - " كان الغرض من هذا الابتكار – في إشارة منه لمجهود كارناب الفكري تجنيب الفلاسفة و العلماء مشقة

[1]كارناب رودولف (حذف الميتافيزيقا عبر الحليل المنطقي للغة)، كيف يرى الوضعيون الفلسفة ، تر،نجيبالحصادي، دار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، 1994، ص142، (باختصار)

المناقشة بلا طائل حول أسئلة لا معنى لها، كان يهدف إلى نعت أي قول علمي مبني على الافتراض و متعذر إثباته أو نفيه بالاعتماد على الخبرة الحسية بأنه عديم المعنى..."[1]، و يتضح التقارب أيضا في أعمال الفيلسوف اللغوي لودفيغفتغنشتاين(1889-1951)Ludwing Wittgenstein ، تحديدا في المرحلة الثانية من تفكيره الفلسفي أثناء تخليه عن النظري التصورية للغة و اقتناعه بالبعد التداولي الناتج عن استعمال المفردات في الواقع المعيش، جاء هذا التحول بعد مناقشاته العديدة و كذا سفره لبريطانيا ثم الو- م- أ،حيث تأثر في هذه الأخيرة بمنجزات الفلسفة البرغماتية على المستويين المادي و المعرفي.

**المرحلة الثالثة :**

ابتداء من سنة 1960 اقتحمت البرغماتية بحدة مجالات الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية لدرجة أنه أصبح من المتعذر التمييز بين هذه الفلسفات ، بيد أن هذه الحدة التي تحدث عنها غوشوت بيار مع كواين و سولارسسرعان ما بدأت تتحدد معالمها داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في إطارتمظهرات جديدة عمدت إلى التخفيف من أوجها بسبب انتشار الاتجاه الأكاديمي الاحترافي في الفلسفة الأمريكية المعاصرة، و كذا تنوع مواضيع البحث العائدة أساسا إلى التطور الهائل للفلسفات التطبيقية، بحيث" أصبح الفلاسفة الأمريكان المعاصرون يتناولون بالبحث و الاستقصاء مواضيع كالعدالة، الفلسفة النسوية، الثروة الاجتماعية،الاجهاض،الدفاع العسكري"[2].

بالرغم من أن المرحلة الثالثة تتماهى مع الإقرار بالتنوع إلا أننا يمكن الحديث عن رافدين أساسيين في الفلسفة الأمريكية المعاصرة:

الرافد الأول عمد إلى إحداث المماهاة بين الوضعية المنطقية و البرغماتية منطلقا من الوضعية المنطقية كأساس و إلى هؤلاء ينتمي "ويلارد فان أورمان كواين"

[1] مورتنوايت،عصر التحليل، فلاسفة القرن العشرين، تر، نجيب غزاوي، مطبوعات وزارة التعليم العالي، سوريا،د-ت، ص226.
[2] فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص89

(1908-2000) الذي عمل على إيجاد العلاقات بين التصورات الوضعية المنطقية و البرغماتية، و قد تحقق ذلك من خلال الطرح الإمبريقي و النسبية إضافة إلى نزعة جون دوي الطبييعة.[1]

بينما يتجه الرافد الثاني إلى تغليب الأساس البرغماتي، مما دفع بعض النقاد إلى تسميتهم بالبرغماتيين الجدد أو الموجة الثالثة و هم المعبرون عن جيل الأحفاد الذين آثروا العودة إلى المظان الأولى للبرغماتية أوما يعرف بالعصر الذهبي من منطلق أن التوجه البرغماتي نفسه يهتم بالمعاني و التحقق، الأمر الذي قامت عليه طروحات التحليلية والوضعية المنطقية، والظاهر أن سمة الفلسفة في هذا الرافد هي محصلة تحولات وانعطافات حدثت نتيجة الخروج عن السيطرة التامة للوضعية المنطقية بمقابل الاتجاه نحو بعد تداولي اجتماعي و هو الأمر عينه الذي تجسد مع المسار الفلسفي عند لودفيج فتغنشتاين[2].و إلى هؤلاء ينتمي الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي (1931-2007) Richard Rorty الذي حملت فلسفته عنوان البرغماتية الجديدة New Pragmatism. و الذي يمكن أن نقول عنه من أبرز رواد المرحلة الثالثة.

[1]أنظر: محمد جديدي، فلسفة الخبرة-جون ديوي نموذجا- مرجع سابق، ص 109.
[2]فؤاد كامل ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق،ص92، (بتصرف).

**المبحث الثاني: بعض الانتقادات التي وجهت للمذهب البرجماتي:**

إن المذهب البرجماتي الذي يجمع فلاسفته" بيرس"،"جيمس"، ديوي" على أن معيار الحقيقة هو نجاح الفكرة عمليا عليه بعض الملاحظات نوجزها فيما يلي:

1- حصر البرجماتيون معيار الحقيقة في ميدان ضيق و محدود للغاية هو الآثار العملية للفكرة، فالفكرة الصادقة إذا حققت آثار أو نفعا معينا، إنما نستطيع استنتاجه من ذلك أن الفكرة التي ليس لها آثار عملية أو نفعية لا يحكم عليها بالصدق، إن صدق القضايا العملية و الأخلاقية ليس محصورا فيما تترجمه هذه القضايا من آثار عملية في دنيا الواقع، فقد آمنت الإنسانية بمفهومات أخلاقية كثيرة لكنها لم تحاول أن تبعث عملها من آثار عملية[1].

2- إن ربط "جيمس" بين صدق الحقيقة و بين نتائجها العملية المباشرة و غير المباشرة لكي يوسع من ميدان الفكرة أو الحقيقة البرجماتية و هذه مغالاة لا يمكن موافقته عليها، فالإنسانية تؤمن بأفكار كثيرة لها نتائج غير مباشرة في حياة الإنسانية و لكنها لا تستطيع أن تؤدي إلى نتائج مباشرة و مع ذلك تقيم لها الإنسانية وزنا و تولي بها كل الاحترام و التقدير، فلو سلمنا بأن الواقع الفلسفي هو واقع عملي مؤدي إلى خدمة الإنسان في حياته العملية كما يرى البرجماتيون لأصبحت الفلسفة جريا وراء تحقيق النفع العملي و أن من شأنه أن يؤدي إلى هدم الفلسفة و تفويضها باعتبار أن هدفها هو

[1] نقل عن حربي عباس عطيتو، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، مرجع سابق، ص190.

البحث عن المعرفة لذاتها بغض النظر عن تحقيق منفعة عملية[1]. «و على الرغم مما اتسمت به أداتية "ديوي" من عمق في التحليل و نضج في الطرح، فهي لم تسلم كغيرها من التصورات البرجماتية عند "بيرس " و "جيمس" من النقد فقد اعتبرها البعض إساءة إلى الحقيقة و رأى البعض الأخر أنها لم تكن سوى بعث جديد أو طرح جديد لمسألة قديمة أي الحقيقة منفعة ووجد فيها بعضهم صعوبة لتمييز أي المعين يكون برجماتيا بينما ما تقدمه البرجماتية هل هو الإجراء العملي أم الاعتقاد المهم للعمل وذهب بعض نقادها إلى اتهامها بالإرادية لأنها زعمت أن الحق ينتج من الحوادث و لا أسبابها لأنها نقلته من أول الزمان ووضعته في آخره... »[2]، لقد قدم نقد النظرية للصدق في حياة "جيمس " ، و لقد كانت لنظريته حضورها في تاريخ الفلسفة المعاصرة مما جعل المؤرخين والنقاد يتناولونها شرحا موجزا وتعليقا لا هجوما، وما لاحظه أن خصوم تلك النظرية أكثر من أنصارها، ولم تزد الاعتراضات على النظرية في فحواها ومعناها عن التي واجهت في حياة "جيمس". أغلبها حول إنكار أن الصادق هو المفيد و إنكار فكرة الرضا والقبول فكرة النتائج العملية – وكلها رد عليه جيمس- بما فيه كفاية الأول اعتراض "كلدول" : يقول فيه« إن جيمس خلط بين الفكرة والقضية ونسى آن الصدق يقال للقضية لا للفكرة ويقصد بها حكما أو قضية»[3]،وكتابا الرئيسان في نظرية الصدق البراجماتيزي معنى الصدق مليئان بهذا الخلط ومن ذلك قول جيمس:« أهم جزء في كتابي (براجماتيزم) هو الحديث عن العلاقة المسماة بالصدق التي يمكن أن تنشأ بين فكرة والموضوع ومن البديهي أن الرأي أو الاعتقاد أو الخبر ليس فكرة وإنما هو حكم أو علاقة بين فكرة وموضوعها»[4]، ويتضمن هذا الاعتراض اعتراض آخر هو اعتراض على قول "جيمس" إن الفكرة صادقة إذا كانت لها نتائج عملية ً، اعتراض آخر يوجهه "إميل

[1]أنظر: مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، نفس المرجع، ص191.
[2]- د محمد جديدي ، فلسفة الخبرة، مرجع سابق، ص 207.
[3]-محمود فهمي زيدان – ويليام جيمس- مرجع سابق، ص74-75.
[4]-عبد العزيز محمد، القيم الفلسفية الكبيرى، الحق الخير الجمال ، مرجع سابق، ص24

بريهيه" إلى "ويليام جيمس" قدم تعريفين للصدق وهما متباينان : "ذكر أنّ الفكرة الصادقة ما أدت إلى إدراك حسي لموضوعها ، ثم ذكر أن القضية الصادقة أدت إلى نتائج مرضية لحاجات الإنسان سواء كانت هذه الحاجات بسيطة أو معقدة"[1]، أما أصحاب الفلسفة العملية النفعية يرفضون هذا التصور وبالتالي ينكرون إمكان وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة واعتبروا الحقيقة اختراع شيء جديد وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم في مدى نفعها في دنيا العمل إذ ليست للحياة من هدف إلا العمل المنتج، المنهج البراجماتي هو المنهج العملي التجريبي، والثاني أن نظرية الحق لم يتميز فيها فكرة المعنى والعمل ويتفرع عن ذلك رفض مذهب التعدد الذي كان يدافع عنه "جيمس" من أنها استدبار للمبادئ الأولى واستقبال للنتائج الأخيرة،بل هي منهج محدد، إنها المنهج الذي ينظر إلى التصورات والنظريات والأفكار على أنها فروض توجهنا نحو إجراء تجارب معينة وملاحظات تجريبية، البراجماتية هو الاتجاه الذي عبر عنه "بيرس"فأحسن التعبير حين وصفها بأنها"عادة الذهن المكتسبة من العمل، والتي لا تقتصر على ميدان العلوم الطبيعية فقط بل تمتد الى كافة العلوم الانسانية"[2].

أما قول جيمس "بأن مركز الثقل في الفلسفة ينبغي أن يتغير...( إن التغيير أساس السلطة)" [3]مما يذكرنا بالإصلاح الديني فلا يضيف شيئا جديدا إنما الجديد ما يطالب به ديوي وهو تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية، وان تكون الخبرة الإنسانية هي السلطة الأخيرة التي تعتمد فيها الفلسفة، ويتضح عيب المنهج البراغماتي كما يتصوره "جيمس" عند تطبيقه، وهو يعترف في مقدمة كتابه أن الحركة البراغماتية عبر عنها كثيرون لهم وجهات نظر مختلفة، بحيث نتج عن ذلك نتائج غير متسقة.

[1] القيم الفلسفية الكبرى، مرجع نفسه،ص25.
[2] حربي عباس عطيتو، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، مرجع سابق، ص192.
[3] احمد فؤاد الاهواني، نوابغ الفكر الغربي، جون ديوي، مصدر سابق، ص 97

هذه النظرية أراد لها أصحابها أن تكون شاملة لشتى الحقائق سواء كانت علمية أو فلسفية آو دينية، لكن إذا كان مقياس صدق الفكرة هو نتائجها. فانه من الغريب أن يجمع الناس على صواب كل فكرة بالنسبة إلى أثارها. وعندئذ يستبعد أن تكون الحقيقة هي، عند جميع الناس ، بل تختلف باختلاف النفع والضرر لكل واحد والظاهر أن كثيرا من معلوماتنا في الحياة اليومية يكون صواب أو خطا لمطابقته أو عدم مطابقته للواقع. وبعد ذلك قد تكون هذه المعرفة نافعة آو غير نافعة ، ولو كان عامل النفع وحده هو مقياس صواب الفكرة لكان صواب كثير من أفكارنا متوقفا على قانون العفويات ونوع النظام الحاكم ولقد بلغ من أصحاب هذا الاتجاه إنهم شبهوا القضايا التي يراد معرفة صدقها أو بطلانها بالسلع المعروضة في السوق، قيمتها الحقيقية لا تقوم في ذاتها بل تتمثل في الثمن الذي يدفع فيها فعلا، إن الصدق أو الحق كما يقول جيمس كورقة النقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها[1].

يصدر موقف الفلاسفة البراجماتيين من الحقيقة برفض استقطاب الفكر الفلسفي إلى قطبين متنازعين: هما المثالية والواقعية واللذين تتشعب إليهما الفلسفة التقليدية بدورها على رد القضية الصادقة إلى أصول سابقة تكون أساس لتحقيق صدقها. لكنهما يختلفان عند هذه الأصول فالمثاليون يحتكمون إلى الاتساق والتماسك الذاتي لان الحقيقة أو الصدق أمر قبلي وهو يأسره داخل عقولنا ولا يتجلى إلا بممايزة الفكر لقوانين العقل. وهذا الموقف مثالي من الحقيقة تطبيق وتأكيد لنظرية المعرفة المثالية التي لا تعترف بوجود الموضوع إلا فكرة قائمة في الذهن. أما الواقعيون فيرون الحقيقة مطابقة القضية للموضوعات الخارجية التي تستقل بوجودها عن عقل الإنسان ويكون التحقق منها بالرجوع إلى الأصل الخارجي الذي تكون القضية الصادقة صورة له، لذا إن المثالية والواقعية شريكتان في نظر البراجماتية في تقليد واحد، هو الارتداد بالحقيقة إلى أصل سابق تتسق مع الفكر أو تتطابق معه في هذا يكون صدقها، وهو ما تنكره

[1] -(بتصرف).إبراهيم خيثر ، اضواء فلسفية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،د ( ط.س) ، ص75.

البراجماتية في كافة صورها المذهبية سواء عند "بيرس"، "جيمس"،أو "شيلر"، و " ديوي " فلم تعد الحقيقة في نظرها مودعة في الأشياء أو قابعة في الذهن جاثمة هنالك وعلينا استخراجها واكتشافها بل هي ما تفسر عنه نتائج أفكارنا في المستقبل، فالحقيقة المطلقة هي اختلاف ليس له أدنى اعتبار في التجربة العملية ومن ثم إن أي فكرة أو اعتقاد هو بمثابة دعوة، إذا وضع موضع الممارسة لاختياره.[1]

يقول محمد قطب: طالما كانت المبادئ التي يسير عليها الغرب تلك المشاعر المسيطرة، فكيف يزعم أحد أنه ارتقوا لو بنى الأساطيل و أقام المصانع و وصل إلى الأفلاك؟ و إنما مقياس الرقي البشري هو الطريقة التي يعامل بها أخاه الإنسان، فهنا يبرز الشخص على حقيقته الكامنة وراء قشور الطباع و ينكشف إيمانه الحقيقي بالإنسانية و حين يؤمن الغرب بذلك يكون قد ارتقى حقا و لكنه لن يؤمن حتى يغير نظرته لحياة الأشياء، ويقيم فلسفته على أساس آخر غير البراجاتيزم أو غير الغاية النفعية للأعمال و إنما ينكر الغرب كل القيم العليا و يؤمن بالمادية النفعية بسبب ظروف البيئة الأروبية التي جعلت شعوبا مختلفة تزدحم على رقعة ضيقة من الأرض قليلة الخيرات، فأصبح الصراع هو الغاية على طبائعهم، لا تعاون و لا حب فصارت تسيطر على مشاعرهم تلك الواقعية المادية التي لا ترتفع عن محيط الأرض، و عالم الضرورة فهو إذن عيب اضطرته إليه الظروف معينة.[2]

[1]- نقل عن صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان،ط2، 1984، ص131.
[2] محمد قطب، الإنسان بين المادية و الإسلام ، دار الشروق القاهرة، مصر ، ط9، 1998، ص219(باختصار)

**المبحث الثالث: مناقشة المذهب البراغماتي.**

قبل أن نبدأ المناقشة، لا ينبغي أن نغمط رموز هذه الفلسفة حقهم، بل علينا أن نشيد بهم، وبتطويرهم للفكر الذي يقوم على حفز الأمل، وتحدي العجز، والنظر للمستقبل، بدلا من التقوقع في غياهب الماضي السحيق، وعلى بعث الشجاعة في نفوس الناس لإخضاع أفكارهم للتجربة، وتتبع النتائج العملية عنها. إلا أن هذا الثناء ليس على إطلاقه، فإن هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة، منها ما له علاقة بالنواحي الفلسفية، ومنها ما له علاقة بالدين وأصوله ومبادئه وقواعد الأخلاق العامة.

**أولا: مناقشة البراغماتية من المنظور الفلسفي.**

فمن المنظور الفلسفي نجد أن أهم مبدأ تقوم عليه البراغماتية هو القطيعة مع الماضي،وعدم الالتفات إليه، وأن على البراغماتي أن يدير ظهره بكل عزم وتصميم وإلى غير رجعة لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين[1].

وفي الوقت نفسه نجد أن البراغماتيين ينطلقون في أفكارهم من منطلقات فلسفية قديمة نادى بها كبار الفلاسفة، فهذا الفيلسوف "بروتاجوراس" (481 – 411 ق.م) يقول في قاعدته المشهورة:« الإنسان مقياس الأشياء جميعا»، وهو نفس المبدأ البراغماتي الذي يجعل الحقيقة نسبية وتختلف من شخص لآخر، بحسب ما تحققه له من فائدة ونفع ، وساهم كل من سقراط وأفلاطون في تكريس التركيز على مبدأ التجربة، بوصفها مكونا ضروريا من مكونات المعرفة، الأمر الذي كان موضع تركيز كبير من جانب البراجماتيين المعاصرين، كما ساهم "أبيقور" ( 341 – 270 ق.م) وتلاميذه في الابتعاد عن القول التقليدي بالصدق المطلق أو الحقيقة المطلقة، ذلك أن الحقيقة الفلسفية "هي التي تحقق لهم وظيفة عملية لإصلاح حال المعتقد بها"[2] .

كما أن الفلاسفة ( أوغسطين) و (دانزسكوت) و(بيكون) و( كوبرنيق) و(جاليلو) كل منهم قد ساهم بنصيبه في مجال الملاحظة والتجربة، التي هي أساس المذهب البراغماتي[3]،وإن لم يكن أحد منهم براغماتيا.

بهذا نجد أن الفلسفة البرجماتية تناقض نفسها في البعد عن الماضي والإدعاء بالجدة والحداثة، وفي نفس الوقت تكرر أقوال فلاسفة قدامى وتتبنى آراءهم، مما يؤكد أنها في حقيقتها مجرد إعادة للنظرة الرواقية القديمة التي ينادي مؤسسوها بمتابعة الفطرة، والعيش وفق الطبيعة، باعتبار أن الدساتير والنظم الإجتماعية إنما هي من وضع الانسان وصنعه لا غير[4]، مضافا إليها الروح النضالية الحديثة[1] في جعل المنفعة معيار الصدق والحقيقة، مما

[1]-: البراغماتية – وليم جيمس، مصدر سابق: ص71(بتصرف).
[2]- د – محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر، د(ط)، ص46.
[3]- انظر مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة – د محمد مهران – ص45 – 49 (باختصار وتصرف).
[4]انظر: - جلال الدين سعيد،فلسفة الرواق، شركة أوربيس للطباعة و النشر،مركز النشر الجامعي، 1999.ص12.

يجعل المجتمع غابة من الوحوش الضارية، التي يأكل بعضها بعضا، إذ تتنافس على (التفوق) و(الغلبة) وتحقيق النجاح، بصرف النظر عن الهدف، وجعل المنفعة هي معيار الصدق والحق، مما يجعل إرادته لا تتفق على تحقيق أية قيمة من القيم الفاضلة: كالحق والعدل والإيثار، وغيرها من الفضائل الانسانية الثابتة في ذاتها ، الأمر الذي جعل هذه الفلسفة ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة[2] التي ظهرت مساوئها عند التطبيق، واستفحلت أخطارها، في عدد من الجوانب، منها:

1- اللاأخلاقية، على الرغم من أنها تتقيد ببعض الفضائل، كالأمانة والإنضباط والدقة ومراعاة المواعيد، إلا أنها ليست مقصودها بذاتها بقدر ما تحققه من منفعة مادية،حيث أنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، فالحق لذاته والباطل لذاته – بصرف النظر عن ما يترتب عليهما من وجوه النفع أو الضرر- حديث خرافة عندهم[3] .

2- الارتباط الوثيق بالحرب، عندما تكون نتائجها في صالح الطرف الآخر، بغض النظر عن الممارسات اللاإنسانية والأذى والتشرد والضرر الذي يقع جراء تلك الحروب.

3- الانحرافات السلوكية، وأظهرها سلوك الإجرام، وعصابات القتل المنظم، وغسيل الأموال، وتجارة المخذرات، وفتح الباب على مصراعيه للمنافسات والصراعات[4].

وقد امتازت الفلسفة البراجماتية عن الفلسفة القديمة بالمبدأ التجريبي، وتتبع النتائج والوعي الواقعي، إلا أن هذا الامتياز ليس جديدا، فإن المذهب التجريبي قد نشأ علىأيدي الفلاسفة المسلمين الذين أخضعوا الفلسفة اليونانية الذهنية للتجربة العملية.[5]

---

[1]- انظرالمفكرون من سقراط إلى سارتر. هنري توماس، ترجمة عثمان نوية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1970.. ص327.

[2]- انظر: قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة محمد فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6،1988.، ص105.

[3]- انظر: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق – توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط1،1953.، ص259.

[4]- انظر: الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية، د- فؤاد زكريا:2(بتصرف).

[5555]- انظر: الفكر الغربي – دراسة نقدية ، أور الجندي، ص25.

تحديدا على يد الفيلسوف والعالم الكيميائي " جابر بن حيان" الذي يؤكد بأنه يقصر نفسه على مشاهداته التي تجيء التجربة مؤيدة لها، إذ قد تكون الظاهرة المشاهدة حدثا عابرا لا يدل على إطراد في الطبيعة، وكذلك الحال في استنباط النتائج وإستقراءها التي تغنى بها الغربيون كثيرا، وعدّوها من إنجازاتهم الفكرية غير المسبوقة[1].

كذلك فإن "الدين" لم يسلم – أيضا – من التفسير النفعي فلسفيا في ضوء الفلسفة " البراغماتية"، حيث أن شرط اعتبار وجود "الدين" وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة "الدين"، لأن قيمته فيما ينتجه[2]، وهذه هي النظرة البراجماتية للدين، لأن الدين عند البراجماتي لم يكن موضعا للبحث في ذاته، وإنما آثار الإنفعال الديني هي موضع البحث، وهل هذه الآثار حسنة تحقق الأمل أم لا تحققه؟ وهل يمكن الحصول عليها بطريق آخر خلاف الطريق الديني؟. مما يعد تجاوزا للعقل في تفكيره وإرهاقا له، ناهيك عن كونه تحويل الدين إلى قيمة مادية ملموسة، قد تكون ذات يوم لها نفع وفي يوم آخر لا نفع لها.

**ثانيا: مناقشة البراجماتية من المنظور الديني:**

إن الدين الإسلامي – بحمد الله تعالى- يمتلك أعظم ثروة في مجال العقيدة والقيم والسلوك والأخلاق، ولقد ترك لنا "المصطفى " صلى الله عليه وسلم ثراثا ضخما من الأحاديث القولية والفعلية التي تحث على حسن الأخلاق والسلوك، إضافة إلى العبادات، بالشكل الذي جمع لنا فيه بين ( العلم والعمل)، وقد قامت الفلسفة البراغماتية على أساس أن المعيار في بيان صحة الأعمال وحسنها إنما يكون من خلال النتائج المترتبة عليها، فأخضعت كل شيء لمبدأ " النفعية"، وجعلت النتيجة هي معيار الحكم على حسن ذلك العمل والأخذ به، أو قبحه

[1]- انظر: جابر بن حيان – د –زكي نجيب محمود، ص55، 58، 59. ومابعدها.
[2]- انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، أميل بوترو، ترجمة د: أحمد فؤاد الأهواني، ص247.

وتركه، وقد طبقوا ذلك المبدأ على الدين، فأصبح الدين نافعا في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به[1]، وفي هذا يقول: "برتراندرسل":« لا يقنع مؤمنا مخلصا إيمانه، لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى استراح إلى موضوع عبادته وإيمانه، إن المؤمن لا يقول: إني إذا آمنت بالله سعدت، ولكنه يقول: إني أؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد....»[2] إن الاعتقاد بوجود- الله تعالى- في نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج وآثار.

قد ينخدع البعض بالبرجماتية عندما يقرأون هذا الكلام ل( برتراند راسل)،وعندما يقرأون بأن رائدها ( وليام جيمس) قد اعتقد بوجود الله من خلال تطبيق المنهج البراغماتي،إذ أن في هذا مساواة بين كل ما في العالم من نحل وملل،سواء كانت سماوية أم أرضية صادقة أو مزيفة، لأن المعيار البراغماتي في صحتها هو مقدار ما تحققه من منفعة و راحة و طمأنينة مباشرة أم غير مباشرة لمعتقدها، و السبب في ذلك هو أن المعيار في الصدق و الحقيقة لدى البرجماتية مقلوب، فعندهم يكون الحق حقا إذا كان نافعا، ومتى لم يكن نافعا فهو ليس بحق،بينما الحق و العقل و المنطق يقتضي أن الحكم على الحق والصدق ليس مرتبطا بالمنفعة، فكل حق يكون نافعا وليس العكس.

كما أن العقل البشري، بما أودعه الله فيه من خصائص، له حدود لا يتجاوزها، و لا يستطيع أن يتخطاها، لذا فقد أرسل الله الرسل- عليهم الصلاة و السلام-، وأنزل عليهم الوحي ليكون نبراساً يضئ الطريق أمام العقل، ليسير على هدىً و صراط مستقيم، فلا يتخبط في سيره، ولا يتناقض في فهمه، فإنه لا يستطيع الوقوف وحده من غير عون من الوحي، فالعقل مع الوحي كالتابع مع المتبوع، كما أن العقل قد تؤثر عليه العوامل الخارجية من عاطفة أو غضب أو مجتمع...

[1] انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، أميل بونرو ، مرجع سابق، ص247.
[2] د- محمد فتحي الشنيطي،تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص475.

و نحن نرى أن (وليام جيمس) الذي يمثل الفيلسوف البراغماتي المتدين، يبدأ آراءه الدينية بقوله: إن الذي يكون صميم الدين ليس الطقوس ولا الفرائض ولا المعتقدات، بل إنه يخضع الإيمان بالله و الاستدلال على وجوده لذلك الشعور، و أن الأفكار اللاهوتية متى ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة المحسوسة فهي أفكار صحيحة،[1] و هذا الرأي غير مقبول إطلاقا، حيث أن الإيمان لا يتوقف فقط على العاطفة، ذلك أن العاطفة و الوجدان عواطف متقلبة دائما،وبالتالي فمن هذا المنطلق فإن الإنسان سوف يؤمن عندما يكون في حالة مزاجية عاطفية وجدانية، ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية، و قطعا الإيمان ليس كذلك، إنما هو صرح يقوم على أسس عقائدية يؤمن بها الإنسان، و يلتزم بها، و يسلم لها لأنها من عند الله عز وجل، و لن تكون إلا في صالحه. و يمكن ، نشير إلى قول ابن كثير في تفسيره للآية(51) من سورة النور:«و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون » حيث أن" الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا عن صفة المؤمنين المستجيبين لله و رسوله، الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله ورسوله"[2].

إضافة لونهما مجرد إخضاع الدين و الأوامر الإلهية للتجربة للحكم بصحتها أو عدمها،يعتبر مشاركة لله تعالى في خلقه، مما يتنافى مع الوحدانية التي هي لله تعالى، فهو الأحد الفرد الصمد الذي لم يكن له كفوا أحد، وهو الذي يعلم ما كان وما سيكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون. و بالتالي فإن مجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته،و الدين لا يقبل شكاً فلا يجوز الجمع بين الشك و الإيمان لأن أمور الإيمان تتجاوز الحس و لا تدخل في مجال التجربة، و المؤمن الحق لا يضع عقيدته موضع الشك ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضع اختيار، بل على العكس تماما، يؤمن بأن الله عز و جل يختبر عباده. لقوله تعالى: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون» الآية (155) من سورة البقرة، و قوله كذلك:«كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أنن تكرهوا شيئا و هو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم و الله يعلم و أنتم لا

[1] أنظر البرجماتية – وليام جيمس- ص 96.
[2] تفسير القرآن، لابن كثير، ج4، ص 257.

تعلمون» الآية (214) من سورة البقرة، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر،فكان خيرًا له، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له »[1]فهذا الحديث يؤكد بصريح العبارة أن ليس كل نافع حق وكل ضار باطل كما تزعم البرجماتية.

كما تنكر البراغماتية وجود حقائق موضوعية و قيم مطلقة، و تؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف اختراع شيء جديد، و ليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل،[2] و هذا نسف تام لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية، ولها أصول ضاربة في الأعماق، كما أنه إنكار للقيم و المبادئ التي أقرها الشارع، و جهلنا الحكمة منها، لقصور في معرفتنا، مع اعتقادنا بأن الخير كل الخير يكمن فيها.

إن تحديد " الخير " يكون من الشرع، وليس من الإنسان فقد يقر الشارع أمرا يرى الحق فيه، و يرى الإنسان لقصوره أن فيه شرا و مشقة بينما هو في الحقيقة خير ما بعده خير وعلى سبيل المثال بتر يد السارق فالإنسان الجاهل يرى أنها إخلال لنظام العام إلا أنها تحقيق للأمن و الاطمئنان و السعادة من خلال ردع السارق، و كذلك بالنسبة للقتال في قوله تعالى: «إن الذين أمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله و الله غفور رحيم » الآية 216 من سورة البقرة.يقول ابن كثير" هذا عام في الأمور كلها، قد يحب المرء شيئا وليس فيه خير و لا مصلحة، و من ذلك القعود عن القتال، قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد و الحكم."[3]كما أن الإنسان قد يجهل الفروق المرجحة لما يفيده عما يضره.

إن إقامة المجتمعات على موازين الكسب و الخسارة و حدهما كفيل بهدم المجتمع، إذ كيف يقوم مجتمع من المجتمعات و ينهض إذا كانت العلاقة التي تقوم بين أفراده لا تقوم إلا على

[1] أخرجه مسلم، رقم 2999.
[2] أنظر: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق- توفيق الطويل- ص 261.
[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص2525.

أساس المصلحة و الكسب المادي، فكم من علاقات أخرى تقوم على الإيثار و التضحية وحب الخير لذاته، وهي التي تكفل تحقيق السعادة للمجتمع، لأن التعاطف و التعاون هما الرائدان في حركة المجتمع الإنساني، وإلا تحويل إلى غابة من الغابات التي يأكل فيها القوي الضعيف. ومن الصعب إقناع النفوس بأعمال الخير، التي لا تقوم على المال، إلا بناءاً على عقيدة إيمانية راسخة، تحقق أعمالاً خيرة، و تسعى لاكتساب فضائل أخلاقية،وإلى تنميتها ابتغاء مثوبة الله تعالى و جنته. وكم في الإسلام من أعمال خيرة يحض عليها،ويحث على فعلها، لتحقيق أفضل حياة إنسانية ممكنة على ظهر هذه الأرض[1]، مع عدم وجود المنفعة الظاهرة حاليا حسب مفهوم البرغماتية، فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرسا ألا كان ما أكل منه صدقة و ما سرق منه صدقة و ما أكل السبع منه فهو صدقة و ما أكلت الطير فهو له صدقة و لا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة ).[2]إلى غير ذلك من الأقوال سواء كانت آيات أو أحاديث وحتى بعض الحكم التي تنفي أن تكون المنفعة أو المصلحة هي أساس المجتمع و أساس العلاقات بين الأفراد.

[1] مصطفى حلمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، ط1، دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع، 1998، ص 214، 215،(بتصرف).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: باب فضل الحب في الله،2522.

**قائمة أهم المصادر والمراجع:**

**المصادر:**

**-1-** القرآن الكريم

**-2-** إميل بريهية، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة جورج طرابلس، دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء السابع،1987.

-3-.ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1.

-4- تأليف جماعة من الاساتذة السوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم،دار العربي، بيروت،لبنان،الطبعة الأولى،1989 .

-5- محمد علي ابو ريان، الفلسفة و مباحثها، ترجمة المدخل إلى الميتافيزيقا، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الرابعة، 2000 .

-6- محمد قطب، الإنسانية بين المادية و الإسلام،دارالشروق،القاهرة، مصر، الطبعة التاسعة 1988 .

-7- دوي، جون: نمو البراجماتية، مقال من كتاب فلسفة القرن العشرين، تأليف رونزواجبورت، ترجمة: عثمان نوية، دار الكتاب العربي، القاهرة.

-8- رالف بارتون بيري، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، الناشر عالم الكتب- القاهرة

-10- وليام جيمس، أحاديث للمعلمين و المتعلمين في علم النفس،ترجمة محمد علي العريان، الناشر عالم الكتب- القاهرة، سنة 1961.

-11- وليام جيمس، البراغماتية، ت: محمد علي العريان، منتدى العقلانيين العرب، المركز القومي للترجمة.

-12- وليام جيمس، بعض المشكلات الفلسفية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مراجعة زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي للتأليف و الترجمة والطباعة و النشر،دون طبعة،و دون سنة.

-13- العلم و الدين في الفلسفة المعاصرة،إميلبوترو، ترجمة، أحمد فؤاد الاهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

-14- كارناب رودولف (حذف الميتافيزيقا عبر الحليل المنطقي للغة)، كيف يرى الوضعيون الفلسفة ، تر،نجيبالحصادي، دار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، 1994.

-15- مورتنوايت،عصر التحليل، فلاسفة القرن العشرين، تر، نجيب غزاوي، مطبوعات وزارةالتعليم العالي، سوريا،د-ت.

-16- محمد قطب، الإنسان بين المادية و الإسلام ، دار الشروق القاهرة، مصر ، ط9، 1998،

-17- المفكرون من سقراط إلى سارتر. هنري توماس، ترجمة عثمان نوية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1970.

-18- قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة محمد فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6،1988.

-19- تفسير القرآن، لابن كثير، ج4.

-20- صحيح مسلم، رقم 2999.

**المراجع:**

-1- ابـراهيم ابـراهيم ياسـين، مـدخل إلـى الفلسـفة العامـة، دار مكتبـة الإسـراء للطبـع و النشر و التوزيع، ط1، 2005

-2-إبـراهيم خيثـر ، اضـواء فلسـفية ، دار هومـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، الجزائـر ،د ( ط.س) .

-3- أحمد يعقوب،المختار من النصوص الفلسفية،دار الكتاب الحديث،2005.

أحمـد الأهـواني، نوابـغ الفكـر- جـون ديـوي- دار المعـارف، مصـر، الطبعـة الثانيـة، 1968.

-4-أمـــل مبروك،مفهـــوم الحقيقة،دراســـة فلسفية،الدارالمصريةالســـعودية للطباعـــة و النشر،دون طبعة،و دون سنة .

-5- حسن جميل طـه، الفكر التربوي المعاصر،جذورهالفلسفية،مقارنة تحليلية نقدية، دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة، عمان، الطبعة الأولى ،2007 .

-6- حربـي عبـاس عطيتـو مـوزة محمـد عبيدان،مـدخل إلـى الفلسـفة و مشـكلاتها،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،الطبعة الاولى،2003.

-7- محمـد مهران،محمـد مدين،مقدمـة فـي الفلسـفة المعاصـرة، دار قبـاء للنشـر و التوزيع،عبده غريب،ط1،2004.

-8- محمد جديدي، فلسفة الخبرة-جون ديوي نموذجا-مجد المؤسسة الجامعية للدراسات النشر و التوزيع، لبنان، ط2004.

**-9-** محمـد علـي أبـو ريـان، فلسـفة ومباحثهـا مـع ترجمـة المـدخل إلـى الميتافيزيقـا، دار المعرفة الجامعية،ط4،2000.

-10-محمـود فهمـي زيـدان، وليـام جـيمس، دار الوفـاء، لـدنيا الطباعـة والنشـر، إسكندرية مصر- ط1، 2005.

-11- محمد سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوروبية.

-12- مصطفى حلمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، ط1، دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع، 1998.

-13-نقل عن صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان،ط2، 1984.

-14- نعيم حبيب جعنيني،الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن،ط1،2004.

-15- مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق – توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط،1،.1953.

-16- هاني يحي نصري، دعوى للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2002.

-17- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، دط.س.

-18- جلال الدين سعيد،فلسفة الرواق، شركة أوربيس للطباعة و النشر،مركز النشر الجامعي، 1999.

-19- سالم يافوت،المناجي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر،دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت ، الطبعة الاولى،1999 .

-20- س،ي،جود، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، تعريب محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

-21- عبد العزيز محمد، القيم الفلسفية الكبيرى، الحق الخير الجمال.

-22- عيسى خليل محسن ،الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي ،دار جرير للنشر والتوزيع ،عمان،الأردن ،ط1،2006.

-23- صلاح قنصوة،نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،الصنوبر،الطبعة الثانية،.1984.

-24- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1993 .

- 25- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1.

-26- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط3، القاهرة، سنة1987.

**الموسوعات:**

1- أندري لالاند،موسوعةلالاند الفلسفية،تعريب خليل أحمد خليل،منشوراتعويدات،بيروت.

2- إسماعيل الشرفا، الموسوعة الفلسفية،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،عمان،الطبعة الأولى،2002 .

3- روزنتال، الموسوعة الفلسفية،ترجمة يوسف كرم،دار الطليعة.

4- عبد الرحمان بدوي،الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الطبعة الأولى،1984 .

5- عبد المنعم الحفني، الموسوعةالفلسفية،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة،تونس،دون طبعة،دون سنة.